

ما فوق .. الإرادة

حياتي

رواية



ما فوق .. الإرادة

.. حياة أمين أحمد..

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب : رواية

المؤلف: حياة أمين أحمد

غلاف الكتاب: رويدا رمضان

موك اب الكتاب: رويدا رمضان

تنسيق داخلي: رويدا رمضان

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

[نسمات الادب للنشر الإلكتروني](#)

الإهداء

للوطن السليب الإرادة ..

أهديه والقلب يان وجعا والعين تذرف دمعا املا في

الحكمة تصحو من مرقدها والايمان يبعث همم

وإرادة

واهديه لأولادي املي وثروتي ، وشكري وتقديري

وامتتاني لمعلمي وابي الروحي الاستاذ سالم

المجيدي . ثم الاصيل الاستاذ عمرو الحمادي

مقدمة

عندما تغلب القناعة أمرا لم يكن حاضرا .. ثم
يغذي شعورا داخليا لم يولد صغيرا بل تفجر كبيرا
نتاج صرخة .. يكفي يا أبي .. هي جملة لم تعتادها
أو تعبر بها ولكن حبيس تفلت من عقاله في
حينه يصدح في صرخة كانت إيذانا لميلاد قدرة
وخيارات .. خيارات لم تأبه للتحديات أو تصغي
للتأثيرات بل رسمت معالم إرادة كانت فوق كل

إرادة

المؤلفة

حياة أمين احمد

الفصل الأول

نسمات الأدب

عبد الله بن

هذا أبي

لم تحتمل أيام وقع الضرب الموجه
والفظيع وتساقط سياطه العنيفة على
وجهه وجسم أختها ليالي من يد أبيها
المتقد غضباً وثورة، وهو يصيح فيها
مثل الرعود:

- عاصية أيتها الوقحة.. سترجعين.. نعم،
سترجعين، وغضباً عنك سترجعين إلى
بيتك.

وهي مكتفية بالبكاء والتألم:

- آه.. آه، ثم بقهرها الحبيس داخلها، إلا
أن أيام لم تحتمل ذلك، بل انهارت نفسها
لهول المنظر، وانهار تماسكها وثباتها
على: (نعم أستطيع)؛ فتحطم في

أغوارها حاجز أبي المنيع والممنوع
اجتيازه، فلم تع إلا وهي تندفع نحوه، ثم
تتشبث بطرف ثيابه قائلة له بحدة
مقهورة: يكفي، حرام ما تفعله فيها..
حرام.. حرام عليك..

فوجئ بها وبقولها وتخطيها سور حده،
فرفع إليها نظره بالقول مدويًا فيها:
أنت.. لم يبق إلا أنت تأمريني بالكف،
وتعلميني الحرام من الحلال.

فضربها على وجهها، وانها لعليهما
ضربًا عنيفًا موجعًا، ثم سحب حزامه
المعلق على الجدار، وأخذ يضربهما بكل
قوة وعنف.

وفي هذه اللحظات وصل العم فائق
مسرعًا للمنزل، وقد أخبر بالقصة لعله

ينقذهما من يديه، وأثناء ذلك رأى الأم التي تسمرت خلف الباب تنظر إليهما باكية دون تدخل لإنقاذهما، فقال حزينًا ومعاتبًا:

-يا أختي ولو مرة تدخلني وأوقفيه، البنتان يموتان في يديه، إلى متى هذا الصمت؟!!

فانفجرت الأم باكية، وجرى هو نحو أخيه يمسكه، ثم يهوي به على السرير الذي بجانبه، وهو يصيح فيه:
-توقف.

وأراد أن ينهض إلا أن فائق منعه وهو يتصدى له، ثم تمكن من تثبيته وهو يقول لهما:

- هيا اخرجنا، هيا يا أيام خذي ليالي من هنا.

أما ليالي وأيام فقد لاذتا بجدار الغرفة،
ثم خرجتا بعد ذلك، وخارت قوى الأب،
وجلس يلهث بالقول: تمنعني من بناتي؟!!

فقال العم فائق:

- وأتركهما تموتان في يديك؟! يا هذا
خَفِ الله.

- وأنت من الذي أتى بك إلى القرية، أم
طردتك زوجتك؟

- زوجتي لا تطردني ولن تطردني، ولا
أفكر في يوم أنها تفعل ذلك، أتعرف
لماذا؟ لأن كلينا يحب الآخر، ويقدره،

ومتى كان الحب والتقدير، ساد التعايش
الكريم والسلامة الدائمة.

- اصمت، اصمت يا عبد نرجس.

جلس فائق على مقعد قبالتة، ثم قال في
هدوء معاتبا أخاه:

- اهدأ، وزن كلامك، وانظر إلى حالك
وأنت تتأكل فيما بينك على ضعف،
تستقوي على ضعفهما بحق الأبوة، ولا
تنظر بعين العدل والإنصاف.. ظننت
الأبوة سلطة - فقط - لها الحق فيما تأتيه
وتفعله، وتناسيت أن عليك حقوقا
وواجبات.. الأبوة إذا تجردت من قيمها
الفاضلة للأبناء تعرت من حقوقها
عليهم.. ليس هذا كلاما أقوله، ولكن
حقائق وثوابت، فسلبك حقهم هو الظلم

بعينه فيهم، والظلم إذا قام في إنسان جرّ
لنفسه التخلف وفقدان الأمان في الدنيا،
ولا يقوم مجتمع أيّا كان على الظلم
والسلب إلا ظل مهتدداً بالزوال (إن الله لا
يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم
يظلمون). فهمت يا أخي؟ بظلمك
ستخسر مكاتك وأبوتك في نفوسهم؛
لأن ظلم الله سيكون بنوع الظلم الذي
أتيته.

يعارضه بحدة:

-هون.. إلى أين تسير؟! أي ظلم هذا؟!..
كلامك يشعرنى كأنني أحكم شعباً بالحديد
والنار، جعلت من تأديب بناتي وتربيتهما
كلاماً يشبه كلام الخطب والمواعظ.

- الأب راعٍ مثله مثل الحاكم تمامًا، وهو مسؤول عما استرعاه الله.

- بل أنا حر في بناتي، وأفعل فيهما ما أشاء.

- هما أمانة الله عندك، وعليك صون الأمانة وحفظها، لا أن تبعثرها، وتضيعها؛ لأنك ستسأل عنهما.

- الأولى تعارضني فيما قلته والتزمته مع الرجال، وترفض الرجوع إلى بيتها، وتنزل رأسي إلى الأرض، والثانية تأتي لتمسك يدي لتمنعني من ضربها.

يعصيانني معًا، وتأتي أنت لتقول لي بأني ظالم! والله لا يكون إلا ما أريده أنا، والضرب ليس ظلمًا، بل تأديب وتصليح المعوج، وأنت كان الأولى بك، وأنت

تدرسنني، وتعلمني العدل أن تذهب
إليهما، وتعلمهما طاعة الأب وطاعة
الزوج؛ فهما أقدم الواجبات.

- أخي العزيز، الله جعل لهذه الحياة
منهاجًا تسير الناس عليه، وعبر
رسالاته المتلاحقة إلى يومنا، وأمرنا أن
نوازن حاجتنا المادية وغير المادية،
وإن فقد التوازن بين الجانبين اختلت قيم
الحياة، وأنت تأمر باسم الطاعة أن
ترجع لزوجها، فقبل أن ترجعها إليه هل
سألتها؟! هل استشعرت حاجتها؟!
لامست آلامها ومعاناتها؟! تعرفت إلى
موضع احتياجها وبكاء أبنائها؟!.. بل كل
ما تريده أن تُري الرجال حكمًا صدر
دون النظر والفحص بعين رحمة لها،

وتريد نفاذه طوعًا أو كراهية. الحياة يا
أخي دين ودنيا، وكما تريد لها أن تطيعه
فعليه الالتزام بحقوقها كاملة، وقبل أن
تضربها ألزمه مصروفًا لها ولأولادها،
وقبل أن تدوي مثل الرعود في سمعها،
ترهبها، وتفتت أوصالها أشعره ولو
بتحذير بسيط أن زوجته إنسانة تملك
قلبًا وإحساسًا لا دابة يوم يجرها
لمربطها، ويوم يفكها في ظلمة داهمة
للكلاب تتقاسمها.

أخي يوم أن تلتزم للرجال بكلمة ألزمه
هو وأمامهم بكلمة:

-زواج بمعروف، أو تسريح بإحسان.

- تريدني أن ألزمه بطلاقها؟! أهذا ما
تراه صوابًا؟!!

- معاذ الله، ولكن إذا ساءت الحياة الزوجية، أو أخل أحدهما بواجباته شرع الله الطلاق.. بل صار هو الحل.

- قطعت المسافات، وأتيت لتخرب بيوتنا بتشريعك للطلاق، فإن كان فالأولى أن تطلق أنت زوجتك المتمسك بها، وهي خارجة عن طاعتك، وأيضاً عاقر ولا فائدة منها.

- أنا لا أشعر طلاقاً، وإنما هو شرع الله جعل الحاجة إليه ضرورة إذا استحال العيش، ورغم هذا جعله حلالاً بغيضاً إليه، أما أنا وزوجتي فلا خلاف بيننا؛ فكل منا عرف حق الآخر وأداه، فسعدنا، وابتسمت الحياة أماناً، أما عن الأولاد فحكمة الله، وله الحمد.

يعارضه بسخرية:

- ماذا ستقول غير هذا؟ أتجروء على

نرجس أن ترميها؟.

- صحيح لا أجروء على قلب نرجس

لأقطعه أوصالاً، وأنا أرى حبها وتعلقها

بي.. نرجس التي صبرت وتحملت معي

فقري وفاقتي.. أرميها لأجل طفل لا

أعلم كيف هو، وكيف يكون؟!.. لعله هو

من يهلكني بقسوته وعقوقه وبغلاظته

وفجوره.

- مسحور بها، لا تقدر أن تتكلم بغير

هذا.

- نعم، مسحورٌ كل منا بالآخر، والحمد

لله.

- مغفل وغبي.

- الغفلة مع شيء جميل يسعدك، ويرتقي بك نحو سعادة جميلة جدًا ليشرفني حقًا.

- عيب ونقيصة وأنت تقول ذلك في امرأة.

- ساعة أعيشها مع زوجتي في ألفة وانسجام وتلامس قلبين متتاغمين على محبة، وجو من النسمات تداعب أنفاسنا وأرواحنا، وهمس حانٍ لهي الفردوس المصغر لحياتنا.

- اسكت.. اسكت؛ كلامك أشبه بالعاشق المفتون.. نقص منك ذلك وأنت رجل كبير.

- الحب والعشق الحلال ليس له عمر محدود.. هل جربت ذلك مع زوجتك؟
بكبر وغرور:

- أنا أقول هذا.. أحسبتي مثلك؟!..

أعلق رقبتى شنقاً قبل أن أقول ذلك.

- هذا الكبر والتعالي هو سبب قسوتك

ونفور أهلِكَ وابتعادهم عنكَ. أخي

زوجتك لأنها خلقت من ضلعك فهي في

أمس الحاجة إليك، وإلى الرفق والحنان،

وإشعارها بالمحبة.

المرأة متى ما شعرت من زوجها قربه

وحبه وتعظيمه لها سعدت، وأسعدته،

وأخرجت للحياة بذوراً سليمة معافاة من

العلل والآفات.

استمر الحوار وقتاً، وكانت أيام خلف

الباب تستمع وقد جذبها كلام عمها و

قوة منطقته، وظلت ساهمة حتى داهمها

واقفاً وبنبرة عاتبة يقول:

- لماذا تقفين هنا؟! عيب و... ولكنها
قاطعته بالقول: لا يا عمي، لا أقصد.

العم فائق: ولماذا تقفين إذا؟

أيام: أسمع لكلامك الجميل فقط، وهو ما
أوقفني.

ببسة: أفي الكلام جمال؟

أيام: بل يجذب السمع، ويسحر العقل.

ضحك العم، واقترب منها، ثم قبلها،
وأمسكها من منكبيها قائلاً:

- تعالي يا حبيبتي معي.

دخل العم فائق بيت أخته برفقة زوجها
ليشرباً معاً قهوة الصباح، وما أن خطا
خطوات حتى وقع نظره على عزم الابن
الأكبر لأخيه، فرآه يجلس لوحده على

سريره في الغرفة القابعة في حوش
المنزل، ثم توجه نحوه، فوقف على
الباب ينظر إليه إلا أن عزم منسجم مع
سيجارته التي يسحب من دخانها بتكيف
وقد ملأ بها أرجاء الغرفة، فنظر إليه
والألم والغضب يمتزجان داخله، ثم ألقى
عليه السلام، فنهض عزم مسرعاً يطفئ
سيجارته تحت قدمه، وقد عقد الخجل
لسانه فنكس رأسه.

فعاتبه العم قائلاً:

-تقتل نفسك يا بني بتعاطيك هذه
السموم، وما الذي ستجنيه غير الهزال
والمرض أو الموت لا قدر الله!-

جلس العم فائق، وجلس عزم بجانبه
على السرير، وقد بدأ يتبدد عنه ما به
من ارتباك وخجل، ثم قال:

- أفرغ بها ما بنفسي من ملل وضيق،
وبشربها -يا عمي- أجد متفسا لما بي.

العم فائق: الفراغ يا ولدي أشغله
بالعمل، والملل اقتله بذكر الله
واستغفاره.. هل صليت؟ بل هل تصلي
من الأصل؟

عزم: لا.

- لماذا؟

- لا أعلم.

- يا بني الصلاة صلة ورابطة تصلك
بربك، وعبرها تفرغ همك وحزنك،
والصلاة هي التي يُعرف بها المرء بأنه

مسلم، أم أنت لا تعرف الإسلام ولا

أركانه؟! أم أنك غير مسلم؟

- بل مسلم يا عمي.

- بالوراثة؟ دلل على أنك مسلم؟

هنا نكس عزم رأسه، فبادر العم قائلاً:

- يا بني الصلاة فرض، ولا يكتمل إسلام

المرء إلا بأدائها، وهي هدى وصلاح

وضياء ونور يملؤ قلبك، وينير مسالك

دروبك وعون على الشدائد والخطوب،

وأيضاً هي شفيعك وحجتك وأنسك

لوحشة القبر وظلمته.. أنت يا بني شاب

بالغ مكلف فلا تضيع نفسك دنيا وآخرة،

يا بني انظر لنفسك وأنت شاب فارس

جلد لا ينقصه إلا جواد يركبه.

- أيام الفروسية قد ولت، ولن تعود.

قاطعته عمه بغضب:

- اصمت ولا تتكلم، قتلت نفسك، وحطمت
معنوياتك، وركنت إلى الفشل.

- بل الفشل ملازم وموجود بيننا، يجري
فينا مجرى دمائنا.

- وإن كان كما تقول في الإرادة والحياة
المتفائلة نقتل ما أوجدته بيننا، موروثاً
كان أو بيئاً، فبقوة العزم نقضي عليه،
وبالحياة الباسمة والتفكير الصحيح.

ثم نهض إليه يربت على كتفه قائلاً: لا
تياأس، وتوقع الخير والأمل في غدك.

هنا انفجر عزم بالبكاء، وأخذ يداري
دموعه بين كفيه، وقال:

- أبي حطم كل شيء.

لم يتمالك العم دموعه فقال له:

لكنه لم ولن يحطم قلبًا يشرق بالأمل
والطموح، ولن يقتل إرادة تدفعها نفس
رضية. أنت استقم وتفاعل، وستجد
المستقبل الزاهر هو من يفتح لك ذراعيه
ليضمك إليه، ولا تحمل أباك الإثم،
وترمي عليه أعذارك (ولا تزر وازرة
وزر أخرى).

- بل هو السبب.

- قل لي أولًا لماذا تركت دراستك؟

- فشلت فيها.

- ولماذا؟

- هو قالها لي منذ صغري "فاشل"،

وكان يلقبني بها حتى صرت فاشلا،

ويعاملني معاملة الأجير الحقير.

- لا يا ولدي، هذه أسباب واهية تركت
بها دراستك؛ فليس بمجرد ألفاظ تقال
فيك - وهي أصلاً ليست فيك - تركت
دراستك، فلا يوجد في الحياة فاشل، بل
الفشل من وحي نفوسنا والضعف
اللعين.

- منذ كنت طفلاً صغيراً - وكنت أفهم
كلامه جيداً - في ألفاظه وندائه يحقرني
ويزدريني.

- يا بني، أبوك تتخذه شماعة تعلق عليه
أخطائك، ولو كنت عزمت على تحقيق
نفسك وذاتك لوصلت.. يا بني ما مضى
قد مضى، ونحن أبناء اليوم، اصنع
حياتك، ومستقبلك هاهو أمامك لا ينتظر
الإذن من أبيك.

وهنا انفجر عزم باكيًا.

أما الابن الثاني فليس بأحسن حالٍ من أخيه عزم؛ فقد ترك المدرسة منذ أن ضربه والده أمام الطلبة والمدرسين بسبب نشوب نزاع بينه وبين مدير المدرسة والإدارة، وأدى به إلى هجر حياته الأسرية واتجاهه لطريق يرى فيه أنه دفاع عن الحق ومقارعة الظالمين.

تألم العم فائق لحاله، وسأل عنه أين يكون؟، ف قيل له: إنه في مجلسه، فذهب إليه ورأى جلسته، فإذا هو جالس على حجرة شبه مربعة يتخذها له مجلساً منعزلاً عن حوله في المساء، وفي

النهار يجلس في كوخ جدته البعيد عن منزلهم.

وقف العم أمامه، ونظر إليه بإشفاق، ثم قال: كيف أنت؟

نهض مرتبًا بالقول: أهلاً عمي، تفضل اجلس.

ضحك العم مازحًا: على مقعدك هذا؟ وأنت أين ستقعد؟

مبتسمًا: على الأرض سأجلس يا عمي، نحن منها وإليها رجوعنا.

- بعد عمر مديد، وبعد أن تحقق ما في نفسك.. أحضر مقعدًا لتجلس بجانبني؛ أريد التحدث معك.

دحرج شامل حجرًا، وأتى به، وجلس عليه، وهو يقول: نعم يا عمي.

- بني، إنني ملّم بالأمر كاملاً حتى أنني
أعلم لماذا تتخذ هذا المكان المنعزل.

نكس شامل رأسه، وواصل العم قائلًا:
من الخطأ يا ولدي أن تُري غيرك
ضعفك؛ فالإنسان إذا ضعف أمام غيره
تهدم وانتهى، والهدم يا بني سهل
والبناء صعب.. تساهلت مع بنائك،
وهدمته لمجرد كلام.

وهنا تدرجت الدموع من عينيه قائلًا:
تأمروا عليّ، وأبي كسرني، وأهانني
أمامهم جميعًا، حتى الطالبات رأين ذلك.

- أنت رجل، والرجل صلب جلد قوي
أمام الصدمات والطوارئ.

- ولأنتني رجل تركت لأبي المدرسة
والبيت والحياة بأكملها، فليأخذ كل ذلك،
وأنا لا أريد شيئاً.

- لا يا شامل، أبوك يريد مصلحتك.

وهنا انفجر بضحكة ساخرة بالقول:
أبي؟! .. متى ينظر أبي لمصلحة أحد؟!
أبي لا يحب إلا نفسه وحاضر ابنه
المدلل.

- لا يا بني.. أبوك يحبكم جميعاً، وكل ما
أقدم عليه ليس إلا لأجلكم، وليس
الضرب أمام غيرنا انكسار، وإنما
الانكسار الحقيقي هو ضعفك والاستكانة
والرضوخ لما أنت عليه.. أنت تقول
تأمروا عليكم.. فمن حاك المؤامرة، ومن
نفذها، وما غرضهم في ذلك؟

ثم زفر العم، فقال شامل: المدير
والمدرسون وبعض من مرضى النفوس
من الطلبة، ولأنني عارضت أفكارهم
وطرقهم المتوية، المدير يأكل وينهب،
والمدرسون يُعينونه على ذلك،
ويتسترون عليه، وكل مدرس له طريقته
وأسلوبه في تعامله وشرحه لبعض
الدروس التي تتكلم عن الحقوق.. في
يوم ما عارضت مدرسًا وهو يشرح
موضوعه عن الحق على حسب هواه،
وعلى ما يراه هو، فوصل الأمر إلى ما
انتهينا إليه، وعندها قررت قراري بأن
أكون ضدهم وضد أمثالهم.

- يا بني.. انتهى الأمر هذا وكان ماضيًا،
وأنت اليوم ابن الحاضر السائر نحو

المستقبل، فلا داعي للماضي، واترك
مشاكله، فلا لأجله أو لصغيرة كانت
ومضت نجلس وأيادينا على الخدود..
ويا ولدي ما تهدم علينا أن نبنيه،
وعلينا أن نزرع بذورنا لنحصد ونجني
ما زرعهنا في الغد.. الصحيح يظل
ويبقى صحيحًا، والخطأ لا يقدم ولا
يؤخر.. نحن أبناء اليوم، والمدير
والمدرس في مقام أبيك، وأبوك ما أقدم
على ما أقدم عليه إلا ليرضاهم لأجلك،
وكلهم عملوا ما فيه مصلحتك، فلا تجعل
حياتك خرابًا، ومستقبلك سرايبًا.

- بل سأقارع الظلم وكل ألوانه.

- يا بني ما زلت صغيرًا على ما تقول،
وأبوك والمدير والمدرس هم أهلك،

ولهم عليك حقوق، أولها الطاعة
والتأدب، ثم النصح والكلمة الطيبة،
وأنت تخالطهم وتجالسهم، وليس وأنت
مقفل على نفسك.. يا بني انظر للحياة
ولجمالها نظرة تفأول وتجابوب مع
الآخرين، ولا تنظر إليها من نظرة
معتمة؛ فتحكم على الآخرين حكمًا قاسيًا،
وفكر في مستقبلك أولًا، ثم بعد أن تكبر
وترشد لك أن تجابه وتقارع، أو حتى
تصلح الكون.

- بل ما

يقاطعه عمه بحدة قائلاً: لا يا بني..
اسمع وافهم كلامي جيدًا.. إنني أخاف
عليك الانجراف في بور التمزق
والضياع التي تظن بها ظنًا حسنًا.. يا

بني تمسك بدراستك، وأعد السنة
الدراسية هذه، وأنا قد تكلمت مع المدير
والمدرسين وهم مرحبون بعودتك، ولن
يتعرض لك أحد، وأنت لا دخل لك بأحد،
أو بأي موضوع خارج نطاق دراستك.

ثم ينهض العم، ويمسح على كتفه قائلاً:
اترك الجلسة الموحشة هذه، وانهض
نحو أهلِكَ، وادخل حياتهم، وشاركهم في
أمرهم.

- أدخل حياة أبي؟!..

- نعم.

- أبي.. لا.. إنني في جلستي الهادئة هذه
أكتفي بسماع صوته المدوي كالرعود.

- أتسمي جلستك هذه الموحشة النافرة
بالبهائية؟!!

- بيتنا كلما بعدت عنه خطوة هدأت
نفسى.. أبى يعكر صفاء النفس
وهدوءها.. يكفي أن أسمع ما يريد منى
فقط، وأنا بعيد، ثم أنفذه، وإن لم يذكرني
- وهو رجائي- ذهبت لجدتي.

- وأمك يا ولدي؟

- بتهد حزين: أمي.. حالها يحرق الفؤاد
و يكويه.. أمي أضاعت حقها، وأضاعت
حقوقنا معها.

- وما الذي في يدها؟.. هل تعمل مثلك
وتخسر بيتها وأولادها؟

- أي أولاد وجدت حتى تخسرهم؟

- يا بني يكفيها أن تراكم.

- أكفايتها وهي ترانا ونحن محطمون
محقررون أمامها، وهي صامتة لا
تتكلم؟!.. أليس كذلك؟

- صابرة.

- أي صبر هذا؟.. إنه الذل.

- يا بني أمك صبرت، وتحملت كل أذى
لأجلكم، والآن هي تنتظر منكم وفيكم
الجزاء والعوض.

- ولكن يا خسارة يا عمي نحن لا حول
لنا ولا قوة، فكيف سنعوضها؟

- هي امرأة وأنت رجل.. هي فات أوانها
وأنت هذا هو أوانك لتسعدنا، وتسر
نفسنا، وتداوي جروحنا.. هيا انهض يا
ولدي، وتحمل لأجلها، وتذكر فقط أمك
المسكينة.

وهنا امتلأت عيناه بالدمع وصمت،
وعلى الحال تذكر العم فائق أمر الشلة
التي تتردد عليه، فقال له: يا بني إياك
ومصاحبة تلك الشلة التي تتردد عليك؛
إنهم سيجرونك للوبال والخراب.. يا بني
الصحبة إن لم تكن للطريق السوي
الباتي بناء يرتضيه الله، ويباركه من
حولك، وتتفع به نفسك وأهلك فلا تقترب
منها وإلا ستجني الحسرة والندم، ولن
تسقط إلا أنت ونفسك التي لا تملك
غيرها.. يا بني أنت ونفسك ملك
قراراتك، وربّ خطوة لا تتبته لها
ستجرك إلى ما لا يحمد عقباه.. اجعل
لقرارك حسن التبصر ولخطواتك حسن
التصبر، ولتعلم أنك ما زلت صغيراً على

ما ترمي نفسك فيه.. يا بني عُد
لدراستك، وعد لأهلك وناسك، وخير
الناس من خالط الناس، وصبر على
أذاهم، فهم أهلك فلا خير فيمن لا خير له
في أهله.

هز رأسه بالقول: إن شاء الله.

أما ليالي فبكت بين يدي عمها بكاءً
مقهوراً بالقول: يضربني دون النظر
لحاجتي وأبنائي.. يوم يأتيني سكران
معبد يشتم ويجلد، وشهر يغيب بعد ذلك
ولا أعرف طريقه.. تمر الأيام الطوال
وأنا وأبنائي لا نملك شيئاً في بيتنا إلا
دموعي المقهورة.. لم يسألني أبي ولا
أمي -أيضاً- يوماً من أين تأكلون؟..

عمي إذا مرض طفل لا أجد له دواء..
ومن أين أجده وأنا لا أملك الريال؟!..
أبنائي في حرمان مستمر، إذا وجدت
الطعام فطفلي المريض حلقه جاف
متيبس من أثر الحمى لا أجد ما أبلل به
لقمته في حلقه لتمر رطوبة بزبادي..
قيمة الزبادي يا عمي لا أجده، وهو
يخزن ويسكر ويقامر بالآلاف وأنا لا أجد
الريالات.. أي عدلٍ هذا، وأي حياة
هذه؟!!

عبد الباقي، أنا سوف أسافر للمدينة،
وإياك أن ترجع ليالي إلى بيتها حتى
يلتزم زوجها بما طلبته أنا منه، وإقراره
بحقوقها كاملة، وإلا أخذتها وأبناءها

معي إلى المدينة.. وأنا سأعود للقريّة
بعد ثلاثة أيام، وكما أخبرتك أنني في
حاجة إلى أيام لتكون بجانب نرجس في
فترة غيابي عن البيت وعن المدينة،
لظروف العمل الجديد الذي سيكون
بعيداً.

هذا ما قاله فائق لأخيه، فصمت ولم يرد
بحرف.

أيام

دخلت الصغيرة صفاء أخت منون ذات
السبع سنوات من العمر وهي تقول
لأيام: إن منون تريدك الآن أن تأتي إليها
وحالاً.

فوجئت أيام بقولها قائلة: منون.. منون
ما بها؟.. ما الذي حصل؟

صفاء: لا أدري.

أيام: أهي مريضة؟

صفاء: لا أعلم.

تركت أيام الذي بين يديها من عمل
لأمها مستأذنة الذهاب.

دخلت أيام على منون -وقد رأتها ممددة
على سريرها- بالقول: ما بك؟ لقد
فجعتني.

منون: وأنت كل شيء يفجعك؟!!

- نعم. المهم لماذا بعثت في طلبي؟

نهضت جالسة -وقد جلست أيام قبالتها
على السرير- فقالت: إن الضرس
يؤلمني كثيرًا، وأنت أعلم بوجعه.

- نعم، وماذا تريدان؟ أتريدان دواء له؟

- لا يا بنت عمتي.. تعرفين كثرة العمال
الذين يعملون مع أبي، والقرية خالية
من المطاعم والمغاسل، ولذلك هم
يعتمدون عليّ.

قاطعتها في اطمئنان عاتب: عرفت
الآن.. يا أختي قولي لي من الأول لا أن
توقعي قلبي.

وما أن انتهى المساء بساعاته الأولى
حتى انتهت أيام من إعانة زوجة خالها
في المطبخ، ثم قامت بغسل ثياب العمال
كاملة، ونشرتها على حبال الغسيل، ثم
بعد ذلك استأذنتها الرجوع إلى البيت،
إلا أن منون استوقفتها قائلة: استريح
قليلاً من العمل، ثم بعد ذلك اذهبي.

أيام: لا.. سأستريح على دوي صوت
أبي.

ضحكت منون حتى ألمها فك فمها
المتورم من الضرس قائلة: الله يسامحك

يا أيام.. أضحككتي ضحكة أوجعت فكي
المتورم.

وهي تبتسم قائلة بمزاح: يا بنت.. لماذا
تضحكين؟ أقفلي فمك.

- بكلامك ترغميني على الضحك، ثم
حولت الكلام بالقول: أيام.. أحقًا
ستسافرين مع عمك إلى المدينة؟
- إن شاء الله.

- آه يا أيام.. كم سأشتاق لك يا بنت
عمتي.

- بمزاح: يوم تشتاقين لي انظري إلى
أبي.

ضحكت منون، وتجدد الألم في فكيها،
فرمتهها بقنينة بلاستيكية كانت بجانبها
قائلة: اسكتي.

ضحكت أيام وهي تقفل على فمها بكفها
قائلة: سكتُ، وأنت إياك أن تضحكي.

وبعد لحظات قلائل انفجرت ضاحكة،
وانفجرت منون بعدها ضاحكة وهي
تصيح: ضرسى.. آه.

فهربت أيام منها، وجرت هي خلفها تريد
إمساكها وضربها.

وبعد ساعة وقد هدأتا من ضحكهما
استأذنت أيام لتعود إلى البيت، فطلبت
منها الانتظار قليلاً.

- ماذا تبقى؟

- لا شيء.. انتظري.

ثم دخلت الغرفة وبعد قليل خرجت نحوها
واقفة تدفع لها مبلغاً مالياً قائلة: خذي يا
أيام.

قبضت أيام أصابع كفها امتناعًا قائلة: ما
بك يا منون؟.. أتعطيني ثمن مساعدتك
وعونك وأنت مريضة؟.. لا.. لا..

- لا يا أيام.. افهمي الكلام أولًا.

وقفت أيام لتسمع قولها.

فتابعت منون قائلة: المبلغ هذا ليس من
عندي ولا ثمن مساعدتك لي، وإنما هو
نصيب يخرجه العمال من صافي جني
عملهم لمن يقوم بالعمل هذا لهم، سواءً
لي أو لغيري.

- لكنني لن أخذه.

- أرجوك.. أسألك بالله خذيه، ويوم أن
أشفي من ألمي سنتعاون في العمل،
ونتقاسم المبلغ معًا.. هيا خذيه.

صمتت أيام ولم تجد حجة للرفض.

أيام فتاة دون الرابعة عشرة من عمرها،
فائقة الجمال بما تحمله من ملامح
وصفات، فهي بيضاء، بل شديدة
البياض، ووجهها جميل جذاب بما يحويه
من عيين شديدي السواد، فائقة
النظرة، وأنف صغير الفتحات، ولكنه
طويل الاستقامة، بل أشم مثلها، وفمها
ذو بسمة ساحرة، وشعرها حيري
مسترسل، وجسمها أقرب للطول وأقرب
للرئاسة الجميلة والرشاقة الجذابة،
ولعله ينتظر السنوات لصبها ثم يعدل
بعد ذلك.

عادت أيام للبيت فنظرت إلى المبلغ، ثم
جلست على السرير، وعدت الأوراق
النقدية من فئة المائة فإذا هي ثلاثة

آلاف، ففوجئت بالمبلغ، ثم ذهلت،
وغاص بها تفكيرها حتى أشغلها عما
حولها، وأدخلها في شعور لم تعرفه،
وإحساس جديد العهد بها، وفي هذا
الوقت انبزع من داخلها إحساس
يشعرها بنوع من القدر والقيمة وهي
تمتلك شيئاً.

تمددت على السرير وهي تقلب الأوراق
النقدية في يدها، ثم زفرت وهمست في
نفسها: بهذه الأوراق تذل النفوس
وتهان، وبها ترفع رؤوس وتحط غيرها.

زفرت طويلاً، ثم واصلت: بل قدرك يا
أيام قبل ساعة وأنت لا شيء والآن
تملكين مبلغاً.. فصار قدرك مثل هذا
المبلغ.

وهام الشعور، وتجدد في داخلها،
وغمرها الإحساس الفيض بالعزة
والرفعة والرضا عن ذاتها، ثم قالت:
إذن لو كان كل أحد يعمل عملاً يأخذ
عليه أجرًا لكان يملك مالاً.. أي لو كنت
أعمل لكان لي مال، أو كان لي قدر
وذات، بالمال أشترى شيئاً وأشياء.. بل
أنا من أكون شيئاً وقادرة على أن أقدم
لغيري ما عجز عنه وما احتاجه.. أعطي
أختي وأولادها.

وعلى الحال دخلت عليها أختها ليالي
وهي تجر ابنها، وتحمل صغيرها،
أحدهما يبكي والآخر يصيح، سألتها: ما
بهما؟

ليالي: هذا يريد آيس كريم، وهذا يريد
أن يرضع.

نهضت أيام تمد يدها تدفع لها بمجموعة
أوراق نقدية قائلة: خذي.

استغربت ليالي قائلة: ما هذا؟

أيام: ألفي ريال.. خذيها، ومجد سأشتري
له ما يريده.

تحفظت ليالي قائلة: لا.. لن آخذها حتى
أعرف من أين أتت؟

نظرت أختها التي تنظر إليها بريية
فبادرتها قائلة: ما بك يا ليالي؟ ألا تثقين
بأيام؟

ليالي: لا.. ولكن...

أيام: اطمئني.. وبدأت تخطو قائلة: صح
ولن تميل عنه.

أيام في المدينة

وصلت أيام المدينة برفقة عمها، ودخل
بيته وهو يحمل حقيبتها، وهي خلفه..
أطل على زوجته مبتسماً والتي أتت من
المطبخ نحوهما ترحب بهما.

نرجس: أهلاً فائق.. أهلاً أيام كيف
أنتِ؟

بهدوء وهي تبعد عن وجهها اللثام: أهلاً
زوجة عمي.

وهي تشير لها بالجلوس: لا يا أيام.. بل
قولي عمتي نرجس.. اجلسي لترتاحي
من السفر.

جلست أيام وهتف العم مازحاً: وأنا..
أظنك نسيّتي.. شغلت بالك أيام.

تضحكوا معًا، فقالت نرجس: من يرى
أيام ينسى غيرها.

فائق: إذن أعجبتك.

نرجس: نعم.. أيام مثل القمر.

طأطأت أيام رأسها حياءً قائلة: شكرًا يا
عمتي نرجس على المجاملة.

نرجس: لا والله.. أنتِ جميلة حقًا وليس
مجاملة مني.

ثم تحول بمزاح قائلة: إذن لماذا ترتدين
الثام وأنتِ ما زلتِ صغيرة على
لبسها؟.. أليس من أجل ذلك؟

أيام: أنا معتادة عليه وأنا في القرية،
فكيف وأنا في المدينة؟!!

نرجس: كم عمرك يا أيام؟

أيام: ثلاث عشرة وقليل.

نرجس: ما زلتِ صغيرة.

أيام: هنا عندهم في المدينة صغيرة،
ولكن عندنا في القرية كبيرة.. بل في
عمر الزواج.

العم فائق مازحًا: إذن ابقِ عندنا حتى لا
تتزوجي.

صمتت أيام، ولم تجب.

فأكمل العم قائلًا: إذن أيام تريد القرية
لكي تتزوج.

طأطأت أيام رأسها في حياء بينما العم
وزوجته يضحكان، ثم قالت العمّة نرجس
بعد ذلك وهي تنظر إلى أيام في عطف:
أخجلتها يا فائق.. أيام ما زالت صغيرة.

دخل الليل على أيام؛ فتسرب إلى نفسها
شعور غربة وقتامة معًا، ثم هزها شوق
إلى أختها وأولادها الصغار ومنزلهم
وأُمها وأخويها عزم وشامل وصديقتها
منون، فلامت نفسها على هذا الشعور
قائلة في داخلها: بهذه السرعة تحنين يا
أيام؟! أنتِ بهذا لن تستمري طويلًا.

نظرت إليها عمتها نرجس، وقالت: ما
بكِ يا أيام؟

ثم دخل عليهما العم فائق أثناء ذلك وهو
يحمل أشياءه قائلًا: السلام عليكم.

نهضت نرجس نحوه تأخذ عنه الأشياء
قائلة: وعليكم السلام.. تأخرت يا حبيبي.

هزت الكلمة الأخيرة إطراق أيام
وصمتها، فهمست في داخلها: لأول مرة
أسمع هذه الكلمة.

العم فائق وهو يخلع عنه معطفه:
حبيبتي الأعمال كثيرة اليوم.. حتى أنني
تركت بقيتها إلى يوم غد.

أما أيام فسحبها تفكيرها بسماعها لقوله
حبيبتي إلى قربتها وتحديداً إلى أمها
وأبيها وإلى لغة المحاورة بينهما التي
تخلو من العادية حتى.

صحت أيام على زقزقة العصافير
والأصوات تتعالى، وهي مارة في
طريقها، فنهضت نحو مصدر الصوت،
وفتحت الشباك لترى فتيات صغار،

وصبايا يمشين وهن يحملن حقائبهن
المدرسية بزيهن المدرسي، شدها ما
رأت، بل ظلت تنظر إليهن باهتمام حتى
قطعها عن ذلك صوت عمتهان رجس
وهي تدق عليها الباب.

التأم الشمل على مائدة الإفطار، فانشغل
العم و نرجس بأكلهما إلا أيام ظلت تحرك
اللقمة دون أن ترفعها إلى فمها، نظرت
إليها العممة نرجس، وأشارت إلى
زوجها، فظل العم فائق يرقبها وهي
ساهمة شريدة الذهن، فقال: ما بك يا
ابنتي؟ لماذا لم تأكلي؟
نظرت إليه في هدوء قائلة: لا رغبة لي
في الأكل.

نرجس: ولماذا يا ابنتي؟ الأكل لم
يعجبك؟ أعمل لك غيره؟

أيام: لا يا عمتي.. إنما طبعي وعادتي لا
أكل من الصبح باكرا.

العم: إذن لا ترغمي نفسك على الأكل
وأنت غير معتادة على ذلك.

نرجس: اذهبي يا ابنتي نحو الثلجة
خذي منها البسكويت لتأكلي.

أيام: لا يا عمتي لا أحب أكل البسكويت..
بل دعيني بعد قليل سأكل.

العم: دعها على راحتها يا نرجس؛
فأيام ابنة هذا البيت.. وابن البيت وقتما

اشتهدى أكل.. أليس كذلك يا ابنتي؟

أيام: نعم يا عمي.

العم: إذن لا أوصيك على نفسك.

نرجس: لا يا فائق.. أتوصي البنت على
نفسها؟! وأين هي أمها؟!.. إنني ألومك يا
حبيبي على هذا الكلام.

العم فائق: لا يا نور قلبي، ولكن لتعتاد
أيام على ذلك، وتحس براحتها وطلاقتها
في البيت.

أيام: لا يا عمي.. بينكما والله لم أحس
بالخجل أو الغربة، بل أنتما معي أكثر
من أمي وأبي، ولطفكما هذا يندر في
بيتنا.

ابتسم العم شاكراً ثم تنهد بألم: إيه.. عبد
الباقي شديد.

نكست أيام رأسها، وبادر العم قائلاً: إلا
عند الملمات والصعوبات فقلبه يفيض
حناناً ورقة.. لا تخافي يا ابنتي العالي

صوته، ولكن خافي الخافت صوته
والذي لا يتكلم.

ضحكت نرجس مازحة: إذن نخاف
فائق، ولا نخاف عبد الباقي.

ضحك العم فائق، وابتسمت أيام، فقال
بعدها بمزاح: بل فائق سيشد عليكما من
الآن.

ثم قال بصوت عالٍ: هيا قومي للعمل ولا
تجالسيني في الأكل.. هيا قومي.

انفجرت نرجس ضاحكة: والله إنها غير
لائقة بك؛ لأنها ليست من طباعك.. أنت
يا فائق غير كل الرجال تمامًا، فقلبك
واسع رحيم ورقيق بأهل بيتك.

تتحنح العم لينبها بأيام، فبادرته أيام
قائلة: لا يا عم.. هذا الحق، والحق لا
يغضب.. فأنت غير أبي تمامًا.

وما أن انتهى وقت الظهر حتى سمعت
أيام أصوات جلبية كبيرة وخطى أقدام
كثيرة متسحبة على الأرض، فأسرعت
نحو الشباك القابع وسط الصالة،
فتسمرت واقفة تنظر، وبعد لحظات
خرجت نرجس من المطبخ فرأتها، ثم
توجهت لبعض شأنها، إلا أن أيام ظلت
تنظر للأفواج التي تمر، تلحظهن باهتمام
حتى أنها لم تشعر بخروج عمته الثانية
من المطبخ تطلبها أن تأتي لها بعبوة
الماء التي أمام الباب بالخارج.

رأتها نرجس فاستغربت ذلك فوقفت
هنيهة، ثم قالت: أيام..!

إلا أن أيام لم تسـمعها لتخـدرها
وانشغالها، فنادتـها مرة أخرى: أيام..
أيام!!

انتبهت بعد ذلك أيام لنداء عمتها؛ فتركت
الشباك قائلة: نعم يا عمتي.

وبعد قليل سـمع طرق الباب، فقالت
نرجس: افتحي الباب يا أيام.

فتوجهت أيام نحو الباب ففتحته فإذا هي
شابة تطل عليها بالقول: السلام عليكم.

فظلت أيام ساهمة واقفة تنظر إليها،
فأعادت الشابة التحية، فارتبكت أيام
بعدها وهي تقول: وعليكم السلام.

إلا أن أيام ظلت تنتظر إليها وتدقق نظرها
في زيها المدرسي، وقد شغفت به مند
رأته، وتعلق قلبها به وبمن رأتهن وهن
سائرات في طرقيهن وهي ترقب
حركتهن، ثم دخلت الشابة إلى البيت
وهي تقول: أين خالتي نرجس؟

كانت الشابة متألة بزيها وحقيبتها التي
على كتفها، ولثامها منسدل على وجهها.
ثم سمعت صوت نرجس تقترب منهما
قائلة: نعم يا ربي.

فرفعت الشابة اللثام عن وجهها قائلة:
إن أمي تريد أن تعيرها بعضاً من أواني
المطبخ؛ فعندنا ضيوف.

فقالت العمة نرجس: انتظري.

فتوجهت نحو المطبخ فهزت الشابة
رأسها تنتظر، أما أيام فظلت ترمقها في
شروء، ولم تفق من ذلك حتى سألتها
الشابة: ما تقربين لخالتي نرجس؟

أيام: إنها امرأة عمي.

ربي: هل تدرسين؟

أيام: لا.

هزت الشابة رأسها بالقول: لا تدرسين!

طأطأت أيام رأسها حزناً وقد وغزها
السؤال، وتعليقها الموشح بالأسف، ثم
وصلت نرجس نحوهما وقد سمعت
كلامهما، ورأت وجه أيام قد تغير،
فدفعت لربي الأواني وهي تلحظ وجه
أيام، وقالت الشابة: أمي تدعوك للحفلة
المصغرة التي ستقيمها اليوم بعد العصر

بمناسبة نجاح أخي في الجامعة، وتؤكد
عليك الحضور أنتِ وضيفتك الأخت،
وتشير إلى أيام.

فبادرتها نرجس قائلة: أيام.. اسمها أيام.

ببسة تقول: أهلاً أيام.. اسمك جميل.

ذهبت أيام مع عمته نرجس إلى حفلة
صديقتها فجلست جلستها الهادئة الخجلة
المتوجسة وهي تلحظ الحضور الذي
يتكاثر بمرور الوقت، ثم اقتربت منها
ربي، وسحبها من يدها في رفق قائلة:
تعال يا أيام لأعرفك على صديقاتي.
رفضت أيام في خجل قائلة: لا.. دعيني
هنا.

ربى: لا.. لا تجلسي مع النساء الحريم
الكبار.. الشابات يجلسن جلسة
لوحدهن.. تعالي.

استسلمت أيام لإرادتها، وذهبت معها،
فأدخلتها عليهن قائلة: أهلاً أحبابي.. لقد
أتيكن بمفاجأة الحضور.. أيام.

ثم تقول لها: أعرفكِ يا أيام إنهن
زميلاتي في المدرسة.

رجعت أيام وعمتها نرجس من الحفلة
وهي محملة بكم هائل من كلام
وتوجهات وأحلام سمعتها من صديقات
ربى، وكانت من قبل شغوفة بالنظر
إليهن تلحظهن في إعجاب، وتتنظر إليهن
في أسف.. واليوم لامستهن عن قرب

وهن يتبادلن الأمانى والأحلام في
دراستهن والمستقبل.

وفي الليل وفي ساعته الأولى رن تلفون
المنزل، فردت نرجس، فإذا هي ليالي
تتصل من بيت خالها، وبعد مرور قليل
من الوقت وهما تتبادلان كلام التحية
والشوق انتقل التلفون إلى يد أيام التي
بدورها سمعت كلام الشوق والحنين من
أختها وصديقتها وتوأم قلبها التي لم
تحتلمه، فسالت الدموع منها وهي
تحاول جاهدة الضغط على أوجاعها
وشوقها، وبعد إنهاء المكالمة جلست
حزينة، ثم طرقت الباب، فذهبت نرجس
لفتحها، فإذا هي جارتها تصطحب طفلها،

رحبت بها نرجس: أهلاً ليلى، وهي
تشير لها بالجلوس: تفضلي اجلسي.

وبعد لحظات من جلوسها قالت: تعرفين
يا نرجس أنني لا أجيد القراءة والكتابة،
وابني هذا طلبوا منه أن يتعلم قراءة
وكتابة الكلمات المكونة من ثلاثة حروف
أولاً، وإلا فصلوه من الصف الثالث، أو
يعيدوه للصف الأول.

- صف ثالث وهو لا يعرف كتابة
الكلمات.. إنه متأخر.. كان الأولى بكِ
متابعته قبل هذا.

- أنا لا أعرف وأنتِ أعلم بي أمية..
والجهل عمى وذل.

- والحل الآن؟ ثم تواصل: لا بد أن
تتابعي معه.

- كيف وأنا لا أعرف؟ اعلمي معي يا
نرجس خيرًا وعلميه.

- أنا لا أعمل معكِ إلا ساعة أو ساعة
ونصف في حدود فراغي.

نظرت ليلي إلى أيام وهتفت قائلة: دعي
هذه الصبية تعينكِ في ذلك.

نكست أيام رأسها، وصمتت نرجس
مراعاة لشعور أيام، فقالت ليلي: الصبية
وقت انشغالكِ دعيها هي تعلمه
وتدرسه.. ماذا قلت؟ أظنها غير منشغلة
مثلكِ إلا بذاكرتها وواجباتها.. أف من
الجهل أف يقطع الجهل وأيامه.. أقول لكِ
يا نرجس علميني مع ابني، أريد أن
أتعلم حتى أذاكر لنفسي وابني معًا.. أنتِ

يا نرجس يوم، والصبية هذه يوم
تعلماننا.

سكتت أيام ولم تجب، بينما نهضت ليلي
تدفع بالكتاب نحو أيام قائلة: هيا علميني
يا... ما اسمك يا صبية؟

نرجس: اسمها أيام.

إلا أن أيام تغيرت قسّـمات وجهها،
ونهضت متوجهة إلى الغرفة دون أن
ترد عليهما.

انتظرت أيام طلوع الصبح بعدما صحت
من نومها لتري من تعلقـت بروئيتهن،
وما هو إلا وقت قليل حتى بدأت الأفواج
تمر وهي تنظر إليهن بشغف واهتمام.

انتظرتهن كذلك بعد عودتهن إلى
منازلهن، ووقفت على الشباك ترقبهن،
ورأت نرجس ذلك وهي في الصلاة.

وفي المساء (بعد العصر) زارتهما
الجارّة الصديقة لنرجس ازدهار برفقة
ابنتها الطالبة الشابة ناهد، فرحبت بها
نرجس أشد ترحيب، وبعد أن جلستا
وهما في وسط تحاورهما سألت ازدهار
نرجس وهي تشير إليها: من هذه
الصبية؟

ابتسمت نرجس بالقول: إنها أيام بنت أخ
فائق.

- هل هي طالبة؟

- أجابتها في هدوء محاذر: لا.

- لم تدرس؟

- لا.

- لماذا؟

- لا أعلم لماذا.

- أيام.. لماذا لم تدرسي؟

نكست أيام رأسها قائلة: لا أعلم.

ازدهار: ألا يوجد في قريتك مدرسة؟

أيام: بل يوجد.. إلا أنني لا أعلم لماذا لم أدرس.

هتفت ناهد قائلة: لعلك يا أيام كنتِ لا تحبين الدراسة، أو كنتِ تهربين منها.

صمتت أيام ولم تجب، فبادرت نرجس

قائلة: الكل في الصغر لا يحبون الدراسة

بل يدرسون غصباً عنهم مجبورين إلى

أن يكبروا يحبونها، ويتعلقون بها.

ثم رأت ابنتها وهي منشغلة تستمع إلى الحوار فقالت معاتبة: ناهدي.. لم تأتي لتسمعي وتشاهدي، ولكن لتسـترجعي الدرس، وتحلي واجبه.

ثم تحولت نحو نرجس قائلة: لم تجلس في البيت بمفردها، وألحت على المجيء معي، واشترطتُ عليها أنها تأتي معي، وتذاكر الدرس، وتحل واجبه، حتى أنها قالت لي وما صعب علي عمتي نرجس ستسهله لي بشرحها المبسط.

ضحكت نرجس ضحكة خفيفة قائلة:
المهم تريد مرافقتك فقط.

ازدهار: نعم.. وأنتِ أعلم بدلالها الزائد.

ابتسمت ناهد قائلة: بل أريد رؤية ضيفتك والتعرف عليها.

نرجس: وماذا رأيتها؟

ناهد: جميلة ومؤدبة، إلا أنها وللأسف غير طالبة ولو كانت كذلك لكانت مثلي في الإعدادية؛ لأن عمرها يقارب عمري تقريباً.

ثم بعد هدوء قليل وهي تنظر لثوبها هتفت بالقول: أيام.. هذا الثوب الذي تلبسينه أهو خياطة في القرية؟

علقت الأم ضاحكة: هذه هي ناهد.. كل أسئلتها واهتمامها منصب في الثياب والخياطة والموضة.

ضحكت نرجس: لعلها ستكون خياطة في المستقبل.

قاطعتها ناهد في مد لكلماتها الحالمة في
افتخار: بل قولي مصممة أزياء، أو
صاحبة شركة ملابس عالمية.

الأم ضاحكة: أو لعكك ستتزوجين برجل
يملك هذه الشركة التي تقولين عنها.

ناهد: لا يا أمي.. بل سأكمل دراستي،
وأخذ الشهادة، وأكون المصممة ناهد
ورئيسة أكبر شركة ملابس في البلد.

نرجس: دعيها يا ازدهار تحلم.

ناهد: بل بعد الحلم يكون التحقيق
والوصول، وآسف عليك يا عمتي
نرجس أن تقولي هذا.

نرجس: ولماذا؟ أليس بنات قبلك
وبالكثرة حلمن، ثم تراجعن؟

ناهد في ثقة: إلا أنا فلن أراجع.. والأيام
ستثبت لك ذلك.. أليس كذلك يا أيام؟

هزتها بقولها وهي تشركها في الكلام،
إنما هي تسمعه فقط، ثم علقت أيام في
هدوء: نعم.

اقتربت ناهد من أيام ثم أوقفها وأخذت
تدقق النظر في ثوبها قائلة: دعيني أنظر
الثوب وتصاميم خياطته.

ثم بعد قليل من النظر قالت: إن خياطته
تدل على خياطة راقية وإن كانت في
قرية.

نرجس: نعم، إن قريرتهم -وكثيرًا من
القرى- قد ترقّت كثيرًا، وانتهت عندهم
تمامًا تصاميم الثوب القديم، بل صاروا

يوكبون تصاميم الموضلة العصرية
وموديلاتها.

أيام لم تنم، بل على فراشها تتقلب..
ضج مضجعتها، وأسهد نومها، ولم
يتركها التفكير تغفو أو تنام، بل ظل
الحوار الذي كان في المساء عالقاً في
بالها، وكانت ناهد وكلامها أشد ما أثار
وأشغل لبها، فتحرك وزاد في نفسها،
فضغطت عليه ليكون مخبوءاً وراكداً،
فأخذت تتساءل في داخلها: عمرها هو
أقرب من عمري إلا أنها تجرؤ على كلام
لم تحدث به نفسي يوماً بل ولو مرة..
هي تتكلم وبكل وقاحة.. أي وقاحة؟..

إنها ثقة في نفسها، ما هي منبع الثقة
هذه؟

ثم لامت نفسها قائلة: وأنتِ عمّ
ستحدثين نفسك؟ وكيف؟
ثم زفرت طويلاً: آه..

أخذت نرجس أيام للذهاب معها للسوق
كي تفسحها في أسواق المدينة، فرأت
أيام ما جذبها، واستهوى فكرها من
محلات ومناظر عصرية فاخرة، إلا أن
منظرًا آخر سحرها، وأوقفها مخدرة
واقفة له، وهو منظر نساء جامعيات
مارات في طريقهن، وصوت ينادي: يا
دكتورة إشراق.

والتي كانت مارة في طريقها نحو
السيارة التي بها رجل ينتظرها، فالتفتت
لمصدر الصوت، ثم تركت من في
السيارة بالقول: انتظرنى.

فاقتربت منه قائلة: نعم يا أستاذ محسن.
فدفع لها بمجموعة كتب، ثم وقف قليلاً
من الوقت يتحاوران.

فقالت نرجس لها: هيا يا أيام.
إلا أن أيام متسمة واقفة تنظر إلى ذلك.

عادتا من السوق وكل واحدة تحمل
أكياساً في يدها، إلا أن أيام زادت على
ذلك أنها تحمل حيرة وتساؤلاً فألقتة إلى
عمتها قائلة: عمتي من هن تلكم
النسوة؟ من أين أتين؟ ومن هي تلك

المرأة التي تركت ذلك الرجل؟ ومن هو
ذاك الذي كان في السيارة ينتظرها؟، ثم
من ذاك الرجل الآخر الذي ناداها يا
دكتورة إشراق؟

ابتسمت نرجس قائلة: إنهن نساء
جامعيات، أي: مدرسات مارات في
طريق عودتهن لبيوتهن وقد أنهين وقت
الدوام، والمرأة التي ينتظرها الرجل في
سيارته إنها الدكتورة المحاضرة
المعروفة إشراق، فقد كانت تسكن معنا
في الحارة، ثم انتقلت بعد ذلك، والذي
ينتظرها هو زوجها، والذي وقفت تكلمه
هو زميلها في الجامعة.

أيام: زوجها يقبل على نفسه ذلك؟!!

- ولماذا؟

- ينتظرها وهي تكلم رجلاً آخر؟!
- كلام في حدود عمل، وطبيعة العمل
تقتضي ذلك، والزوج عليه أن يتقبل،
ويرضى بذلك.
- كيف ذلك؟
- بابتسامة: يا أيام، ما اعتدت عليه،
والفتية يختلف تماماً عما ترينه الآن،
فمجتمع المدينة مجتمع متعلم متفهم
لطبيعة عمل الآخر رجلاً كان أو امرأة،
فالعلم يرفع النفوس، ويرتقي بها عما
هو حقير وصغير.

القرار

نادت نرجس أيام بالقول: أيام، ليس
عيبًا أو حرامًا أن يتعلم المرء القراءة
والكتابة.. تعالي لأعلمك أولًا مبادئ
القراءة والكتابة، وهي الحروف.

هزت أيام رأسها بالرفض في وجع
وخجل، فقالت العمّة نرجس: التعليم
ليس مقصورًا على الصغار، بل مطالب
به الكبار أيضًا، وأنت لست كبيرة، بل ما
زلت صغيرة، وهو واجب الزمنا به
ديننا، وأول كلمة نزلت على نبينا -صلى
الله عليه وسلم- هي: اقرأ.

إلا أن أيام التزمت الصمت، واكتفت به
بعد ذلك جوابًا، وقد تغيرت قسّمات
وجهها والألم يعتصرها، عندها وصل

العم داخلاً عليهما، فرحبت به نرجس،
وبعد لحظات قالت أيام في اندفاع: عمي
أريد أن أدرس.

نظر إليها العم بصمت، ثم جلسوا فقال:
كيف؟

أحست أيام بكلمة كيف تحز في داخلها،
وكان عمها يرفض طلبها.

رأى العم علامات الحزن والأسى الظاهر
عليها، ثم نظر إلى زوجته التي واجهته
بنظرتها لومًا وعتابًا على ما قاله،
فهزت رأسها بإشارة خفيفة: لا تصدها.

فهم العم، ولكن نرجس هي من لم تفهم
مقصده، فقال في هدوء: ابنتي، ليس ما
قصدته بكلمتي: (كيف) أنني أرفض، أو
أمتنع عما تريدينه، بل أنا أشجعك على

التعلم، فالتعليم حق من الحقوق للابن
والبنت سواء، ولكن ما أعنيه أن تقدمك
للتعليم في الصفوف الأولى سيجلب لك
انتقادًا وتعييبًا من الطلبة، فهم صغار في
العمر وصغار العقول، فلا بد وأنهم
سيتعرضون لك بكلام لا تقدرين على
تحمله.

أيام: لكنني أريد أن أدرس، ولا يهمني
شيء منهم.

العم فائق: لا يا أيام، الشخص عندما
يقدم على قرار فلا بد أن يحسب لكل
شيء أمامه وخلفه حتى تكون خطاه
على نور وبصيرة.. أنتِ مثلاً كبيرة على
الحقاق بالصفوف الابتدائية؛ فلا بد من
البحث لك عن مكان أنسب لعمرِك.

أيام: وما هو غير المدرسة؟

نرجس: أعلمك أنا يا أيام، سوف أجعل
منك الناجحة الفاهمة من غير مدرسة.

أيام: أعرف يا عمتي نرجس أنك
تبادرين بذلك؛ كي لا أحزن على ما فات.

العم: وجدتها لك يا أيام.. ولكن سأسألك
أولاً وأجيبني بصدق، لماذا تريدان أن
تتعلمي؟

زفرت، ثم قالت: شيء اندفع بداخلي
يحثني على ذلك، وقد انكسرت مغنوياتي
وأنا أرى الكل متعلمًا يتدافع، ويتسابق،
ويتفاخر بالعلم، وقد رأيت بعيني،
وتلمست بحسي علو المكانة، وسمو
الرفعة والشرف بالعلم، والأيام القلائل
التي قضيتها وأنا أحتك بالناس هنا رأيت

أن مجتمع المدينة هو مجتمع متعلم
ومترفع ومتعالٍ لا يعيش فيه جاهل إلا
كان ذليلاً منكسراً، بل لا شيء فيهم.

ابتسم العم سعيداً بابنة أخيه قائلاً
بمزاح: والحر لا يرضى بالذل.

أيام: نعم يا عمي.. فبعيشي الأيام القلائل
في المدينة تعرفت على نفسي بينهم؛
ففهمت معنى كلمة جاهل أو أمي، أو
يدفع لك بكتاب لتقرأ حروفاً منهم عندها
عرفت الانكسار، ومن لا يقرأ ولا يكتب
هو المنكسر الذليل بين أناس أقام العلم
فيهم ميداناً ليتسابقوا فيه، وكانت لهم
مراتب الهمة والشرف.

هزّ العم رأسه مشرق الوجه فقال: لا
تحزني يا أيام.. إن عمك بجانبك والله

سبحانه موجود فلا بد أن الحقك
بالصفوف الدراسية.

وجاء اليوم الثاني وهو يحمل كتبًا
مدرسية، يزف الخبر السعيد لها: يا
أيام.. أيام تعالي لتري وتسمعي
المفاجأة.

فتأتي إليه مبتسمة وهو يدفع الكتب لها
قائلًا: لقد ألقيتك بصفوف محو الأمية،
ومن يوم غد ستدرسين.

همست أيام بريية: محو الأمية.
رأى العم ذلك فبادرها: لا يهم.. الأهم
ستدرسين.

ولكن يا عمي محو الأمية؟!!

العم فائق: ما بها؟ إن محو الأمية أشبه
بحملة مكافحة تزيل الأمية، ثم إنها وعن
طريقها وصل كثيرون، واعتلوا مناصب
ووظائف.

أيام: كيف ذلك؟

العم فائق: إن بانتهاك من صفوف محو
الأمية سيوصلك للإعدادية، ثم الثانوية.

أيام: أحقًا ما تقوله يا عمي؟

العم فائق: نعم يا ابنتي.. صفوف الأمية
تقضي على سنين قد فاتت بلا علم ونحن
كبار اليوم، وأيضًا تحفزنا -بطرق
أسرع- نحو أمامنا لنواكب يومنا.

الطالبة أيام

وفي اليوم الثاني دخلت عليها ناهد قائلة
بفرحة: مبروك.. ألف ألف مبروك، من
اليوم صرت طالبة..

أي: الطالبة أيام ابنة المدينة، والحاصلة
بعد سنوات على شهادات إن شاء الله.

ثم أقامت لها احتفالاً مصغراً دعت إليه
صديقاتها، وأخبرتهن أنه بمناسبة دخول
أيام المدرسة، وأنها صارت طالبة،
وتعرفت أيام على صديقات، ومع مرور
الأيام نشأت بينهن صداقة حميمة، ومن
بينهن معتزة وربى وأحلى أسامي.

وفي الليل ونرجس وأيام جالستان هتفت
نرجس لأيام قائلة: يا أيام غداً الجمعة

سنزور صديقتي الدكتورة شمس؛ إنها كثيرة السؤال عني؛ لأننا تباعدنا، حتى أنها بعثت لي بعقاب لأنني لم أحضر الحفلة التي أقامتها بمناسبة نجاح ابنها.

صمتت أيام صمًا مترددًا إلا أن نرجس قالت: لا بد أن نذهب، ولا بد أن تذهبي معي لأعرفكما على بعض.

واصلت أيام الصمت إلا أن نرجس قالت: ما بك يا أيام، سوف تحبينها جدًا إنها طيبة ورقيقة.

أيام: ليس كذلك ولكن..

نرجس: ولكن ماذا يا ابنتي؟ دعي التردد هذا.

وانقضت الشهور الدراسية الأولى
سريعًا، وكانت أيام تسابقها بما ظهر
وتجلى فيها من الذكاء المتقد الذي
لاحظته عليها نرجس ثم المدرسات،
فكانت الأولى دائمًا، وفي يوم دخلت
تزف إلى عمته نرجس خبير نجاحها
وأنها الأولى على فصلها؛ فتبسمت
قائلة: بل الأولى دائمًا يا أيام، والأيام
ستشهد بذلك عندما تصلين إلى صفوف
أعلى.

وهنا طرقت الباب، فذهبت أيام لتفتحه
وهي تقول: إنه عمي سوف أبشره.

نرجس: إنه يعرف ذلك مسبقًا؛ ثقة في
ابنة أخيه.

ففتحت الباب وهي مشرقة الوجهه،
والابتسامة تملؤها لتباغته بالبشارة،
فهتفت في عجل وسرور: نجحت يا
عمي و...

إلا أنها ألقى البشارة في وجهه أطل
عليها، وهنا غبر الإشراق، ويبست
الابتسامة لما رأت وجهًا غريبًا يطل،
وبريق عينين ساحرتين تجمد خفتها،
وبردت أوصالها، واندفع صدرها في
الخفقان، فتصلب الاثنان معًا، ولم يجدا
كلامًا يقولانه، بل ماتت الكلمات في
الشفاه، ثم بعد لحظات انتهت أيام
لنفسها ووقوفها أمام شخص غريب،
فانسحبت سريعًا تقول لعمتها في

ارتباك: عمتي انظري من الذي على
الباب.

ذهبت نرجس وهي تقول في استغراب:
من؟

جلست أيام على مقعد، وبعد قليل تأتيها
نرجس تضع أمامها كيسًا بالقول: إنه لك
من ليالي.

وأرادت نرجس الذهاب إلا أنها
استوقفتها قائلة: من هو ذاك الشخص يا
عمتي؟

نظرت إليها نرجس نظرة تفحص: إنه
راسل أخو ساهل.. لم تعرفيه؟ إنه يعرفك
حتى أنه قال: إن أيام لم تنتظر حتى
أسلمها حاجتها.

تضايقت أيام من سماع اسمه، وردت
على عمتها في عتاب: أنا يا عمتي
نرجس لا أعرفه، ولا أريد أن أعرفه.

- ولم الحنق والغضب؟

- بنو عبد البر جميعًا لا أريدهم، ولا أريد
حتى ذكرهم.

- وما الذي فعلوه بك؟

- الذي فعلوه.. الذي فعله أخوه في أختي
يكفي لنا أن نكرهم جميعًا والعمر كله.

العاصفة

أيام محبة للعلم، بل عاشقة له، وتطمح
للوصول لما هو أعلى وأرقى، وعمها
يشجعها على ذلك، ويعينها إلا أن الأب
وموقفه الذي لا تعرفه أيام من الدراسة
والتعليم، والذي وضحه يومًا وهو
يتحاور مع أخته مرة وقال في موقفه
من تعليم الفتاة بحضور ظله المدلل:
إنني أرفض تعليم الفتاة لما فيه من
خطر، وهو: التجرد من الحياء، وإذا
خلعت الفتاة حياءها قضت على شرفها،
وإذا قضت على شرفها كانت هي
والساقطات والفالات، بل حتى العاهرات
-قولي إذا شئت- سواء.

الأخت: إنك يا أخي أخذ فكرة وموقفًا
بعيدًا كل البعد عن الواقع الذي نحن فيه؛
فالمرأة في يومنا وصلت للعالي جدًا
بعلمها وشهادتها.

وما أن عرف أخوها المدلل بدراستها في
المدينة دسّ الخبر في مسمع أبيه الذي
هبّ واقفًا في نار ووعيد: والله لتعودنَّ
إلى القرية.. أتريد بعملها هذا أن تحلق
لحيّتي بين الرجال؟!.

ويأمره قائلًا: هيا أنتِ بها وإلا ذهبت أنا،
فكان أمرها عسيرًا.

وما هي إلا ساعات قلائل حتى وصل
إليها حاضر يأمرها قائلًا: هيا تجهزي
للرجوع إلى القرية.. أبي أمر بذلك.

ردت عليه نرجس قائلة: ولكن عمك
غير موجود، فكيف ستأخذها؟! انتظر
حتى يعود.

حاضر: أبي أكد علي، وقال: سواء كان
عمك موجودًا أو غير موجود أنتِ بها،
وإلا سيأتي هو إن رفضت الرجوع.

نرجس: يا بني انتظر عمك سيأتي غدًا.

حاضر: أبي حلف يمينًا أن أعود بها
اليوم.

وبشدتها وقوتها على خدها طنت أذنها،
واحتجب السمع عنها، وقد أغضت
عينها ألمًا ووجعًا للضربة العنيفة هذه،
وهو يقول لها مدويًا: أنتِ تدرسين..

أنتِ في المدينة تدرسين مع الساقطات..

أنتِ والساقطات الفالتات سواء.

ثم توالى ضربه لها حتى تدخل الخال

ليوقفه عنها، ثم سحبه إلى غرفة أخرى،

وسكبت أيام دموعها دون أن تنبس

بكلمة.. وإن تفوهت فماذا ستقول أو

ترد؟! فاكثفت بالصمت.

مواصلـة

وجاءت السنة الدراسية الثانية، فتقدمت أيام إلى مديرة المدرسة لصفوف محو الأمية في القرية بشهادتها، وطلبت تسجيل اسمها، وأكدت عليها قائلة: أرجوك لا تكشف اسمي لأبي أو لغيره؛ إن أبي يرفض دراستي.

المديرة: عجباً لأبيك.. الأمم والشعوب كلها تعمل جاهدة للقضاء على الأمية والجهل، وأبوك يصر عليهما.

زفرت بحزن قائلة: نعم.. أهم شيء ألا تكشف اسمي لحاضر أخي أو لغيره.

- لا تخافي.. والدراسة؟.. أي: كيف سيكون حضورك؟

- سأحضر بقدر المستطاع.

- ولكن..

- أرجوكِ قدي وضعي وظروفي.

- ولكن مدرستنا مجرد بيت بين البيوت،

جعلناها مدرسة لنرفع عن المتعلمات

حرج وعيب الوصول إلى المدرسة؛

نزولاً لدواعي العادات والتقاليد التي

تحرم على النساء الحضور للمدرسة،

ووقت الدراسة هو الأنسب لكِ ولغيركِ

فهو وقت المقييل واتكاء الرجال على

مضغ القات والتخزين، فلا أظن أن أباكِ

يقوم في هذه الساعة من تكييفه القات.

- إن لم ينهض أبي فأخي شغوف

بتفقدني.

- وكيف سينهض أخوكِ وهو مكيف؟

- أخي سيزداد كيفاً وهو يبحث عني.

- تخافين أباك أم أخاك بالضبط؟

- إن كشفني أخي فالتهديد والعقاب
سيكون موجعًا؛ لأنه سيلفق تهمًا،
ويضخم الأمور، وأبي يصدق، ويرضيه
فيّ.

- لعله يحبه كثيرًا، ولهذا يرضيه ولو
على حسابكم.

- نعم ويسترضيه في كل شيء.

- وأنتم أستم أبناءه مثل ما هو ابنه؟

- لا أدري.. آه.. تفريق ومفاضلة.

- هذا حرام.

- ومن يهتم بالحلال والحرام؟! بل قولي

كيف سيقرون بالحلال والحرام،

ويعملون بذلك، وهم يرفضون طريق

التعرف عليه بالعلم؟ بل بالجهل راحتهم
من ذلك.

وفي يوم والوقت صباحًا نادى الأب
زوجته: أعدي لي حقيبة سفر.

سمعت ذلك أيام، وقد كانت على مقربة
منهما، فاستبشرت خيرًا أن أباهما يريد
السفر، وتسمرت الأم، ولم تجرؤ على
سؤاله عن وجهته، فقالت أيام وقد دفعها
إلى ذلك الفضول والاطمئنان إلى سفره:
إلى أين يا أبي؟ وكم ستمكث؟

الأب: سأسافر برفقة الحج محجوب و...

وهنا ذكر على الحال فضولها وهو يكره
الفضول ويمنع التجرؤ عليه، فدوى

فيها: وأنتِ لماذا تسألين؟ وما الذي
يعنيك في الأمر؟

أجابته في هدوء حذر: لا.. مجرد سؤال
يا أبي لا غير.

وبعد ساعة عرف الجميع أنه ذاهب في
رحلة عمل مع الحاج محبوب أسبوعًا
كاملاً أو يزيد، وحاضر ذهب معه.

فرحت أيام بذلك، واستبشرت خيرًا، وقد
علمت أن حاضر قد ذهب معه، فتتفست
الصعداء، وبعد ذلك تمكنت من الحضور
إلى المدرسة بانتظام دون خوف أو
تقطع، وتمكنت من المطالعة والمذاكرة
بحرية وطلاقة، وإن كانت تحت ضوء
الشموع إلا أنها سعيدة بذلك الجو
الطليق الفسيح.

اقْرَأْ

ومرت الأيام.. لكن الأيام الجميلة لا تدوم كثيراً؛ فقد عاد الأب من رحلة عمله مع ابنه ورفقته، ودخلت بهم السيارة التي يقلونها القرية، وسارت بهم ببطء بين البيوت؛ لإنزال الركاب وحاجتهم أمام بيوتهم، وأثناء ذلك والسيارة ترسو لإنزال راكب بحاجاته، وكان البيت بجانب الطريق الذي تسير فيه طالبات لمدرسة محو الأمية النسائية، وكان عائدات إلى بيوتهن، وكانت أيام واحدة من تلك النساء على الحال هزتها زميلتها قائلة لها وقد رأته: أليس هذا هو أخوك حاضر؟

التفتت إليه أيام، وتأكدت منه ووجهه
يطل من على نافذة السيارة ينظر إليهن،
فأسرعت تندس بين زميلاتها حتى لا
تُعرف بينهن.

وتأكد هو أنها هي، وظل ينظر إليها حتى
توارت واختفت، وقال لسائق السيارة:
بسرعة خلصنا.

وعادت أيام إلى البيت مسرعة، فرأتها
منون بنت خالها التي كانت تجلس مع
ليالي تحدثها، فقالت أيام في خوف
ولهفة: حاضر.. حاضر رأني، وعرفني.

- اهدي.. لا أظنه تعرف عليك.

- ولكنه ظل يدقق.

فهتفت منون: لا تخافي.. هيا اخلعي ما
عليك من ثياب يا بنت خالي.

- كيف؟

- أنا أنتِ .. وأنتِ أنا.

- كيف ذلك؟

وما هي إلا دقائق حتى وصل حاضر،
وأبوه خلفه وكأنه أخبره، فدخلوا عليهن،
ورأى منون لابسة عباءة وجلابابا،
واللثام مرفوع عن وجهها، وكتبها
أمامها، وعلى الحال انسحب الأب
خارجًا، وبسرعة جنونية سحب حاضر
منها الكتب ليتأكد من الاسم لكنه لم يجد
اسمًا.

فقالت له منون: ماذا تريد؟

- هل الكتب هذه هي لكِ حقًا؟

- وماذا ترى وأنا ألبس العباءة.. أليس يدل على أنني أتيت من المدرسة؟! أي: أني طالبة.

نظر إليها في ريبة، ثم قال: في أي صف؟

تلعثت منون وأشارت لها أيام بإصبعين لكن منون قالت: صف أول.

نظر حاضر في الكتب مرة أخرى، وتأكد أنها للصف الثاني.

فقالت: أنا أخطأت لأنني لم أعهد نطق الصف الثاني لأنني جديدة، وإنما اعتدت نطق الصف الأول.. فما الفرق؟ المهم كلها صفوف محو الأمية، ونحن ما زلنا نكافح.

فخرج وهو ينظر إليها في ريبة وشك
وتقلص قسماته.

وبعد اطمئنانهن بخروجه نهضت ليالي -
التي كانت حاضرة هناك- تتأكد من
ابتماعه تمامًا عن البيت، وقفت ضاحكة
وقالت: تعرفين تكذابين وتمثلين أيضًا..
وكأنك محترفة.

منون: لا أدري كيف، ولكن قوة اندفاعه
جعلتني أقول دون خوف منه.

أما أيام فقد كانت ساكنة شاردة عنهما
حتى هزتها منون تناديهما: أيام.. أيام أين
ذهبت؟

ردت بزفرة: يا ليتني أذهب ولا أعود.

منون: كف الله الشر يا بنت عمتي.. لا
تخافي شيئًا ما دام الله موجودًا.

زفرت بالقول: هو سبحانه كلما جددنا
توكلنا به وإيماننا واصلنا، وإلا كان
حالنا لا يُطاق.

وفي اليوم الثاني خرج الأب صباحًا،
فاطمأنت بخروجه ونوم حاضره، ففتحت
كتابًا تطالع فيه وهي جالسة في فناء
المنزل الخلفي، فإذا أبوها يرجع إلى
البيت بغتةً، فاهتدت بصوته الذي يسبق
دخوله.. فكيف ستتخلص من الكتاب؟
دخل أبوها فارتبكت.. رآها ولكنه لم يع
لما في يدها، فأسرعت قليلًا، ورمت
الكتاب في سلة القمامة التي كانت على
بعد منها.

وبعد أسبوع وفي يوم عاد الأب إلى البيت، ولم تنتبه أيام لدخوله وهي جالسة على الأرض تطالع، فإذا بصوت أبيها يخرم أذنها، فرمت الكتاب خلفها، وبعد وقوف أبيها على مقربة منها لم تعرف كيف تتصرف، وإذا بحاضر يدخل واقفاً يكلمه، فانشغلا الاثنان بالكلام، فسحبت أيام الكتاب، ووضعته تحت فراش الأرض، ثم تظاهرت بأنها تكنس الأرض، وتنفض جوانب الفرش، فنظر إليها حاضر، ولكنه لم ير شيئاً؛ فحمدت الله على ذلك.

ومرت الشهور وأيام مثابرة على دراستها ومذاكرتها حتى أتى يوم خرج

الأب فيه صباحًا؛ فاطمأنت بخروجه
ونوم حاضره.. ففتحت كتابا تطالعه،
ومرت ساعتان على ذلك وهي جالسة
على الأرض في الصالة، ثم سمعت
تتحنج أبيها قبل دخوله البيت، فأدخلت
كتابها تحت فراش الأرض، وتخلصت
منه، وانشغلت بمداعبة ابن أختها الذي
كان بجانبها يلعب، ثم ملت، فنهضت من
جانبه إلا أنه وبفضول وشقاوة طفل
صغير ذهب وأخرج الكتاب من تحت
الفراش وهو يضحك، فراه حاضره الذي
أفاق على صوت أبيه، وهب قائمًا
يخطف منه الكتاب حتى ارتعش الطفل
مرعوبًا، وانفجر باكياً، وقرأ الصفحة
الأمامية فإذا هو للصف الثاني، ومكتوب

عليه أيام، فكان أكبر دليل على ما يريد،
ويبحث عنه، وعلى الحال دفع به لأبيه
قائلاً: أبي.. لا تصدقها إنها تكذب عليك،
هاهو كتابها، إنها طالبة، واسمها
مكتوب عليه.

وقبل أن يجيب الأب الذي امتقع لونه
هبّ عزم الذي خرج من المطبخ قائلاً:
أنا يا أبي من كتب اسم أيام على الكتاب
عندما كنت أطلع لمنون، وكتبت لها
الاسم على سبيل التعريف، والكتاب ملك
منون.

قاطعته حاضر قائلاً: لا تصدقه يا أبي إنها
تدرس والكتاب لها.

ثارت ثورة الأب وذهب برفقة حاضري إلى
مديرة المدرسة ليتأكد من ذلك، هل أيام
تدرس؟

دخل على مديرة المدرسة وسألها
بالقول: هل أيام تدرس عندكم في
المدرسة؟

فأجابته: لا.

فقال بإصرار: بل تدرس.

- هي لا تدرس، وإن كانت تدرس فكل
البنات يدرسن.

فقال بحمية وغضب: أخبريني أولاً.

فقلت بهدوء: يا أبا عزم.. انظر للأمم
من حولك يتسابق فيها الناس نحو العلم،
ووصلوا إلى القمة، واستطاعوا بالعلم
أن يفكروا أصعب الألغاز، وتحقق

المعجزات.. العلم الذي ما أتى دين إلا
وأمر به للجنسين.

- أتيتك أسألك لا أتيت لتجادليني.

- وأنا لا أجادلك، وإنما وجب النصح في
كل الأمور.. فكيف بما هو الطريق لكسب
رضا الله، والتعرف على ما فاتنا وغاب
عنا في ماضينا، والسلاح الذي سنحمله
لمستقبلنا.

بكبت وغضب: يا سيدة، ابنتي مسجلة
عندك؟

- يا سيد إنها غير مسجلة عندي.

نظر إليها بريية قائلاً: اصدقيني القول
وإلا شكوتك إلى أخيك.

صمتت قليلاً ثم زفرت محتارة فيه، ثم
قدمت له كشفًا وهي تقول: اقرأ

الأسماء.. هذا الكشف به كل المقيدات
أسماءهن عندنا.

دفعت بالكشف أمامه، ولكنه صمت، ثم
رده يدفعه إليها قائلاً بخزي وألم:
تستهزئين بي؟

- ولماذا؟

صمت متردداً، ثم قال بعد ذلك: ألا
تعلمين أنني لا أقرأ؟

عندها تذكرت، فهزت رأسها، ثم قالت
في عتاب له: ترى في ذلك استهزائي
وأنا ما قصدت ذلك؟!.. ولكن حقيقة أتت
من تلقاء نفسها لتبرهن لك أن الجهل
خزي وعجز وعمى.. فلم يا أبا عزم
تصر على الجهل، وتحرم النشء من
التعليم؟.. لماذا تحرمون ما حالته

الشرائع السماوية والذي سبحانه أعلم
بنفعها للبشر؟!.. وأيضًا القوانين
البشرية لم تمنعه.. لماذا تمنعون النور
أن يضيء، وتصرون على العمى
والظلام؟!!

- إذا هي مسجلة عندك.

- أنت لا تقرأ يا أبا عزم، وغير مصدق

أنها ليست مقيدة عندي.. فماذا أفعل لك؟

دق سطح المكتب بيديه قائلاً وهو يهب

واقفاً: تستهزئين بي كوني لا أقرأ.

فتنهض هي واقفة بالقول: أنت من

وضعت نفسك في هذا الموقف.. لا

تعرف القراءة وأتيت لتقامر.

ثم قال لها: بل سأعرف الآن أقامر مثل
ما تقولين.. أم أنت من تغامرین بكرسيك
هذا.

ثم هتف ينادي: حاضر.. تعال يا حاضر.

دخل حاضر وقال: نعم يا أبي.

فقال تعال اقرأ الكشف.

انتهزت المديرة التفاتته نحو ابنه فغيرت
الكشف، وجلس حاضر يقرأ، وبعد
الانتهاء قال: لا يوجد اسمها يا أبي.

فقالت المديرة: شرفتنا يا أبا عزم.

حاضر لم يصدق ما قالت له منون
والمديرية، بل ظل يبحث، ويدقق في كل
شيء؛ يريد ولو دليل يثبت له شكوكه،
ويكشف دراسة أيام، إلا أنه في يوم رأى

شموعًا على الطاولة فسأل ليالي التي
كانت جالسة بجانبه: ماذا تفعلون بهذه
الشموع؟

صمتت ليالي ولم تجب؛ لأنها لم يخطر
على بالها هذا السؤال.

فقال: ما بكِ لا تجيبين؟

- وأنت لماذا تستعجل الإجابة على كل

سؤال، وإن كان تافها؟!

- اصمتي يا غير متربية.

- اسكت.. لو كنت تعرف قدرك جيدًا ما

تكلمت معي بهذا الأسلوب، ثم تركته،

وقد حملت ابنيها الاثنتين، وقالت لأيام

وقد كانت واقفة: أيام تعالي خذي

حاجاتي التي على السرير، وخذي

الشمع الذي جهزته لما بعد انطفاء
الفاNos (المصباح).

ثم قالت في تآلم عاتب: حتى مصباح
سليم يضيء لنا الليلة كاملة لا يوجد
لدينا.. يفرضون الوصايا فقط، ولا
يقدمون شفقة ولا عوناً.. أي قوامه لهم
علينا يستحقونها كبيراً كان أو صغيراً؟
حاضر: سأخبر أبي بما قلتيه.

ليالي: قل له وأضف عليها مثل عادتك..
فلا أخاف شيئاً منكم فكل تجارب أبيك
بطش وتعنيف، ما عادت توجع في
جسمي أو تؤلمه مثل ما تؤلمني القسوة
والتجبر.

ثم خرج، وبعد انتهائها من تمديد ولديها
على فراشيهما قالت لأيام التي هي في

شروود وهي جالسة على السرير الآخر:
أيام.. بعد أن تنتهي من المذاكرة تأكدي
جيدًا من شغلة المصباح وعدم تسرب
نقاط الجاز منه.

إلا أن أيام لم تحرك ساكنًا، فرأتها
وقالت: أيام .. أيام ما بك شاردة؟
تهدت أيام ثم قالت: لا شيء.

ليالي: كيف لا شيء وأنت حاضرة
غائبة.

وبعد ساعة وبعد أن تأكدت من إقفال
ليالي للبيت، أخرجت من أسفل الدولاب
البسيط كتبها، وأضاعت الشمعتين،
وجلست تطالع دروسها، أما حاضر فقد
ظل يحوم حول البيت يريد ولو شرخًا أو
ثقبًا بسيطًا ليرى ويتأكد مما يريد،

والذي أنكرته ليالي، فقد تمادى في ذهنه
من قبل أن المذاكرة كانت على ضوء
الشموع، وظل كذلك حتى تسرب من
خلف جدار الشباك شعاع ضوء، فقال في
نفسه: بالتأكيد أنهما لا ينامان على كل
هذا الضوء.. بالتأكيد أنها تذاكر عليه..
نعم، وليالي تساعدها على ذلك.. لا بد
من يوم أكشفكما لأبي.

وفي الصباح وهما يتعاونان في غسل
الثياب في بيت ليالي دخل عليهما حاضر
يخاطبهما بحدة: أنتِ تذاكرين الليل كاملاً
على ضوء الشموع، وأنتِ تساعدينها
على ذلك، وأنا تأكدت من مصدر
الضوء.

أيام: اذهب.. لا داعي للكلام الذي هو
أكبر من عمرك.

اقترب منها يلوي ذراعها قائلاً: بل رجل
عليك وبقدمي سأدوس أفاعيكِ الفالته.

استطاعت أيام تخليص يدها وقد نهضت
تدفعه عن نفسها، وقالت: اذهب العب
بعيداً عن هنا.

فقال في غضب: اصمتي يا وسخة.

- بل اسكت أنت، واخرج من هنا،
واعرف قدرك وأنت تكلم من هو أكبر
منك.

- وإن كنت صغيراً فأنا رجل عليك،
وأدوسك برجلي.

وأراد أن يركلها ولكن أيام ابتعدت
فهوى، ثم اقتربت ليالي منه قائلة في

غضب مقهور: اخرج من هنا.. أرجوك
دعني أهدأ منكم ومن تحماتكم المريرة.

وأشارت بيدها: هيا.. هذا بيتي اخرج
الآن.. لا أريدك هنا.

هزّ رأسه قائلاً: سأخرج، ولكن أوعدكما
أنني سأكشفكما قريباً، ثم رماه
بنظراته الماكرة وخرج.

عادتا لغسيلهما، ثم سمعتا بجانب الباب
طرقاً خفيفاً وصوتاً ينادي: يا زهو.. يا
زهو تعالي خذي.

فقالت ليالي: قومي يا أختي خذي عنه.

نهضت أيام وهي تقول: وأين زهو؟

فتوجهت نحو الباب لتفرجه قليلاً له إلا
أنها فوجئت بالباب مفتوحاً والمنادي
يتوسط الباب مطلاً يرسل نظراته

المتألقة، وعيناه المتلألئة، وبشاشته
التي تملأ وجهه، ودون قصد وقعت
عينها في عينيه، إلا أنها وبعد لحظات
أسرعت هروباً عنه، وقد عرفته من هو،
فرجعت إلى أختها في حلق: خذي أنتِ
منه.

ليالي: ولماذا؟

أيام: أنا لا أريد رؤيته.

نهضت ليالي نحوه قائلة وهي تقف قليلاً
عن الباب: ادخل يا راسل.

دخل نحوها في حياء، ثم مدّ لها كيساً
قائلاً: هذا لزهو وأخيها من أبيها.

ليالي: وأين هو أبوها؟

راسل: لقد بعثه لهما، وقال: إنه سيسافر
مع صحبته.

أخذت منه وهي متبرمة حزينة، ثم
عادت نحو أيام، وقالت لها: لماذا لا
تريدين رؤيته؟

أيام: ولماذا يأتي إلى هنا؟.. امنعيه.

ليالي: أنسيت أنه بيت أخيه؟! ما بك يا

أيام؟!.. راسل طيب لا يشبه أخاه.

زارت أيام مديرة المدرسة في بيتها
والتي سألتها بلهفة: أبي وصل
المدرسة؟

فشرحت المديرية لأيام ما كان بينهما من
حوار، فقالت أيام: المهم كيف تمكنت من
إخفاء اسمي وهو في الكشف؟

المديرة: لقد استبدلت كشف هذه السنة
بكشف السنة الماضية، ولم ينتبه أخوك
حاضر للتاريخ.

ابتسمت أيام شاكرة لها، فقالت المديرية:
لا شكر على واجب؛ فأنت تناضلين لأجل
حق، ووجب على الجميع الوقوف
بجانبك.

أيام في الإعدادية

ومرت الشهور تباعاً، واجتازت أيام
مرحلة محو الأمية، وانتقلت إلى
المرحلة الإعدادية.. ولكن كيف ستلتحق
بالمدرسة في قريتها التي تختلف عن
مدرسة محو الأمية؟! فهي مدرسة تعمل
وقت ظروف المرأة ووقت فراغها،
وأيضاً هي بيت متداخل بين البيوت
تملكه المديرية.

وهذا ما قالته أيام لأختها وبنيت خالها
وهي تشكو إليهما حزنهما، فقالت منون:
الحل كله بيدي الله أولاً ثم عمك فائق،
ولو كنت في المدينة لكانت مشكاتك لها
حل؛ فالمدينة خبرها مستور؛ لأنه لا
يعرفك فيها أحد.

- كيف سأنقل إلى المدينة وأبي يرفض ذلك؟

- عمك هو من ينقلك.

- ولكن أبي يرفض ذلك، ولن يقتنع بما سيقوله له.

- جربه لعله...

- قاطعتها: لا، بل سأطلب منه تسجيل اسمي فقط، أي: دراسة منازل، وذلك بعد أن يشرح لهم ظروفي.

- يا بنت عمتي دراسة المدينة تختلف عن القرية؛ فمدارس المدينة أكثر نظامية وتقيدًا بالقانون المدرسي.

وبعد يومين ذهب عزم إلى المدينة، وأخبر عمه بما طلبته منه أيام، فقال

العم: سأبحث لها عن حل إن شاء الله،
وإن كان علمي مسبقاً أن المدارس لا
تقبل إلا الحضور والانتظام، ولكن
أخبرها أنني بعد يومين سأتي إلى القرية
حاملاً معي الرد على ذلك إن شاء الله..
وبإذن الله سأحمل معي الكتب.

انتظرت أيام ثلاثة أيام وهي تتقلب على
نار الانتظار حتى جاءها عمها، وفوجئت
به مصدومة أنه لا يحمل شيئاً.. فحزنت
لذلك، وأيقنت أن المدارس لم تقبلها،
فقالته له بحزن وتبرم وقد اطمأنت
بخلوها به: عمي.. ماذا؟.. ألم يقبلوني؟

العم: لا.. لم يقبلوك إلا بشرط الحضور
والانتظام، وتعبت في إقناعهم حتى

تعاونت معي مدرسة تملكها امرأة وكانت
أكثر تفهّمًا وتجاوبًا، فتجاوبت معي
بعدها شرحت لها ظروفك، وطلبت
حضورك النصف الأول، وهي ستحاول
جاهدة متجاوزة النصف الثاني بشرط
حضور الاختبار.

أطرقت أيام رأسها في يأس وحزن،
فبادرها العم قائلاً وهو ينظر إليها في ألم
عليها: أيام.. أنت تريدين أن تدرسي؟
أنت واثقة من ذلك؟

أيام: نعم يا عمي، وإلا لماذا ذقت ما
ذقته؟.. أليس لأجل ذلك؟

فرد عليها بنبرة المطمئن لها والواثق:
إذن اتركي الباقي عليّ.

ثم نظر إليها وقد رفعت رأسها، والعينان
تملؤهما الدموع، وقال لها بفرحة
وإعجاب بها: سلمي أمركِ إلى الله.. ولا
تخافي.

وفي الليل اجتمع العم فائق بأخيه عبد
الباقي قائلاً له: أخي.. الذي بيني وبينك
علاقة أخوة ودم.. أليس كذلك؟
- نعم.. وما مناسبة قول ذلك؟
- إذا لا تعرضها للبتر والتقطيع.
فقال بصوت مندفع جاف: وماذا هناك؟
ماذا تريد؟ أفصح.
- أريد أيام.

بصوت مرتفع وهو يتفحص وجهه:
أتريد أن تخربها وتفسدها كما فعلت
المرّة الأولى؟!!

ابتلع فائق ما سمعه منه، وقال بصوت
هادئ: أنا لا أناقشك في شيء قد أوقفنا
عليه مسبقاً.. أنا الآن بحاجة إليك أن
تأذن لأيام أن تذهب معي لتكون إلى
جانب زوجتي إلى أن تنتهي فترة غيابي
عن المدينة.

مال وجهه عنه وقال: لا، لن تذهب
معك.

فقال فائق بنبرة المعاتب: عبد الباقي..
أنا وأنت اثنان فقط، وإذا خسر أحدنا
الآخر فانظر لهول الخسارة وجسامتها..
واحد لا ثاني له.. فكر جيداً.

لم يحرك عبد الباقي ساكنًا، فنهض فائق
قائلًا بنبرة متوجعة: حسنًا يا عبد الباقي
حسنًا.. من اليوم عبد الباقي ليس له أخ
غير نفسه التي لا تحسب لأي شيء من
عوز أو حاجة أو طارئ سيحل.

ثم هزّ رأسه وهو يهم للخروج: تشكر
يابن أُمي وأبي.

ثم خطا خطوات للخروج، إلا أن عبد
الباقي تحركت فيه أحاسيس الأخوة،
فهتف: فائق ارجع.

وقف فائق، وهتف عبد الباقي قائلًا:
فائق.. أنا موافق.. خذها معك.

استدار فائق مستبشرًا ثم شاكرًا له، إلا
أن عبد الباقي قال له بتهديد: إياك..
أحذرك أن تسمح لها بالخروج لقصد

الدراسة.. هي تذهب معك لتجلس مع
زوجتك تساعدها فقط وتؤنسها، أفهمت
يا فائق؟.. أفهمت جيداً ما أقوله؟
وأحذرك أن تصل إلى مدرسة.

والتحقت أيام بمدرستها الجديدة، وأخذت
تسير في دراستها ومع دروسها سيراً
متصاعداً تفوقاً وانتظاماً؛ مما أثار
إعجاب مدرساتها وتقديرهن لها، وكانت
الأولى على زميلاتها، فسعدت بذلك، بل
وأضحت السعيدة بنفسها وهي تعيش
أجمل أيامها بدراستها وانطلاقها في
ذهابها لمدرستها ورجوعها منها في
طلاقة وحرية، ومطالعة دروسها في
أمان وهدوء مما انعكس ذلك على
نفسها، فأشرق الوجه منها جمالاً

ونظارة وهو يتميز مع صفة جمالها
الفاتن، وعلامة الشباب الظاهرة الجلية
عليها.

وفي يوم وصلت منون المدينة،
واحتضنتها حتى نددت العينان منها
بالدمع لشدة الحب والاشتياق، ثم بعد
ذلك جلستا يتبادلان الكلام والشكوى
بغيبية كل واحدة عن الأخرى، وبعد أن
رحبت بها نرجس قالت منون وهي تنظر
إلى أيام: والله تغيرت كثيرًا يا أيام حتى
أنني توجست قليلًا أن أتعرف عليك..
والله وكأنك زهرة تفتحت، وافترشت،
وكل ذلك فعلته فيك الدراسة.

ببسمه: في ذلك؟! فكيف لو غبت عنكم
سنين؟!!

فقلت منون بمزاح: بل نرفض ذلك،
وسنحرض عليكِ عبد الباقي، يكفيك
الشهور التي درستها.

قاطعتها: لا يا منون.. حتى آخذ الشهادة.

منون: لا يا بنت عمتي.. ما أخذتية
يكفي.

ردت عليها بعزيمة: بل سأظل آخذ
وأخذ، ولن أكتفي.

الخطبة

وفي المساء انفردت منون بنرجس
تخبرها بالخبر الذي أخفته عن أيام خوفًا
عليها تعكير مزاجها أو تكديرها قائلة:
مسكينة أيام يا عمّة نرجس.. إنها لا
تدري بما يحصل في القرية، وما اتفقوا
عليها.

- ماذا حصل؟

- لقد تقدم راسل لخطبتها، وقد وافق
أبوها، ولم يتبقّ من مراسم إتمام الخطبة
إلا إعلانها رسميًا بعد أن يأخذ ما تبقى
من مال.

- أيوافق على الخطبة، ويتمها دون أن
يعلمها؟! إنه لم يستأذنها حتى ولو
بكلمة.

- يا عمتي نرجس إنك لا تعلمين بطباع أبيها وقسوته، بل إنه يظن بعمله هذا وغيره أنه محب وحريرص على أولاده.. حتى ولو يحفر لهم حفراً، ويرمي بهم فيها سيقول إنه يفعل ذلك لصالحهم.

وفي صباح اليوم الثاني قالت أيام لعمتها نرجس وهي مشرقة سعيدة: عمتي.. لقد أنهيت الاختبار تقريباً، ولم يتبق إلا يوم غد لمادة الاجتماعيات.

- ألف مبروك حبيبتي.. أظن إجابتك كما أتوقعها؛ فتقتي فيك امتياز.. أليس كذلك؟

- وكيف يا عمتي؟

- مبروك مقدماً.

وهنا شردت نرجس، وقالت في نفسها:
أهنيك على النجاح أم على الخطبة التي
تدار من وراء ظهرك.

إلا أن سعادة أيام لم تكتمل؛ إذ وصل
أبوها المدينة وأخبر العم فائق بأنه قد
تمت خطبة أيام على راسل، وأمره أن
يعلمها بذلك، فاستاء العم فائق،
وتضايق، وقال بألم في وجه أخيه: يا
أخي حرام عليك تظلمها، وتظلم نفسك.

- أظلمها؟!.. بحثي عن سعادتها وسترها
هو ظلم لها؟!!

- نعم.. إنك تقبل الخطبة، وتتمها دون
أن تعلمها، ألا يكفيك ما وجدته ليالي
لتكمل بأيام؟.. اتق الله إنهما ابنتاك،
فلماذا ترمي بهم إلى الجحيم؟

- هي قبلت الخطبة.. بل سوف تقبل
رضيت أم رفضت.

- أنت تجردها من حقها الذي أعطها
إياه ربها.

- أنت.. أنت سبب تمرد بناتي علي.

- يا هذا خف الله، وخف مساءلته لك
يوم العرض عن أمانته حفظت أم
ضيعت؟.. ألا يؤلمك ألمها، أو يوجعك
وجعها؟!!

- لا دخل لك.. وأيام ساآخذها، لن تجدها
بعد اليوم إن لم تقبل بالخطبة، وأنت من
تقنعها بذلك.

- أنا لا أوافق ظالمًا على ظلم أيًا كانت
قربته مني، ولا أستغل أحدًا أو أستثمره
لأجل مصلحة لي عنده فيها أذى له.

- زواجها وسترها هو أذى لها؟.. هذا هو تفسيرك؟

- نعم، ما لم يستوفِ الزواج شروطه التي تضمن له الاستمرارية وسعادة البنت.. انظر للأولى التي رميتها في بؤر أخيه هذا والذي تريد أن ترمي بالثانية في بؤر الله أعلم بالنتائج كيف ستكون.

- إذا سأخذها لترجع معي إلى القرية.

وبعد ما علمت أيام بالخبر من عمها سكت الدموع الغزيرة، وانفجرت بألم وحرقة بين يدي عمها وعمتها نرجس، وهي تقول: يبيغني يا عمي بيغًا ولا يفكر في نفسي أو مشاعري.. ضري أو

نفعي.. كل ما يفكر فيه هو أن يخلص
مننا فقط.

العم: لا يا أيام.. لا تقولي على أبيك
ذلك.. هو يخاف عليك.

تقاطعه بدموع وحدة مقهورة: أبي لا
يخاف إلا على نفسه أو حاضر ابنه
فقط.. أبي لا يتوجع لوجعنا، أو تغيبه
مصالحتنا.. المهم بكم يبيع، ويقبض
الثمن.

العم: ابنتي إنها مجرد خطبة فقط.

تقاطعه: اليوم خطبة وغداً زواج.

العم: لا يا ابنتي.. كم من بنات خطبن
مرات، ولم يُقدر لهن الزواج.. ألم
تسمعي بالمقولة التي تقول: "الخطاب

عشرة، والمتزوج واحد"، فعمل هذه
الخطبة لا يكتب لها الاستمرار.

إلا أن أيام انخرطت في البكاء المقهور،
وعلا منها النشيج حتى خافا عليها شدة
البكاء، فقاما حولها وكل واحد منهما
يحاول التخفيف عنها.

وقال العم: أيام يا حبيبتى ارحمي
نفسك.. إنها مجرد خطبة فقط، خطبة
وليس زواجاً.. خطبة وبعدها سيسافر
للعمل في الخليج، وأنت انتظري لتري
بعدها كم سيظل مغترباً خاطباً لك،
والزواج طريقه ما زال طويلاً وشائناً،
ولعل عمر الخطبة سيدوم سنوات طوالاً
حتى يسأم أبوك فيفسخها.

أيام: لا يا عمي.. لا يا عمتي نرجس.. لا
تمنوني عبثًا، وتعلقونني على أمان
خائبة.

العمة: لا يا ابنتي.. لا يأس من رحمة
الله.

العم: ثقي في الله، إنه موجود، وإن
رحمته قريبة من العباد.. فاسأليه
الرحمة والفرج.. أيام ابنتي ارمي حملك
على الله فهو القادر سبحانه على أن يرد
عك ما تكرهينه ما إن توكلت عليه..
أيام اجعلي الله في صدرك.

وهنا هدأت أيام قليلاً من نشيجها
وبكائها، وقد لفحها طيف كلامهما،
وتسرب إلى داخلها، فقبلها عمها على
جبهتها قائلاً: ابنتي التي هي بمعزة ابني

الذي لم أنجبه، ولكن محبتي لها وثقتي
فيها يجعلانني على يقين أنها ابنتي..
أيام، استحضري الله ورحمته، وسألميه
أمرك، فلن ينسأك أو يضيعك.. هيا قومي
وتوضئي، وصلي لله ركعتين أسأليه فيها
الرحمة والفرج.

أيام: أصلي لأجل الخطبة؟

- لا.. لأجل نفسك، ابتهلي إليه واقفة
بين يديه تدعينه، تفرغي حزنك وشكاك،
وتطلبي منه الرحمة والسداد؛ فرحمة الله
قريبة من المحسنين.

- وبعدها أقبل بالخطبة؟

- لا يا ابنتي.. ارضي الله يرضيك فيما
تريدين، ولعل في الخطبة هذه هو الخير
لك.. أنت أعلم من الله!!

- خيرًا لي.. أنت من تقول هذا؟.. وفي

الخطبة هذه وفي بني عبد البر؟

- لا يا ابنتي، لا تقيسي الأمور بمقياس

واحد، ولا تحكمي عليهم حكمًا واحدًا؛

فالنفوس تختلف في الطبع والمزاج.

- يا عمي.. يا عمي أخوه من؟

- ولو يا بنتي.

- كلهم سواسية.

فهمت نرجس وهي تمسح على شعرها

في حنان: لا يا ابنتي.. خذي مثال عبد

الباقي أبوك وفائق عمك.. هل هما

متساويان في الطبع والمزاج؟

أيام: ماذا تريدون؟.. تريدون أن

تقتعوني به؟

نرجس: لا.. ولكن نريدك أن تهديني
وتوجهي إلى الله بالدعاء (وقل ادعوني
أستجب لكم).

فقلت بحرقه: وبعد ذلك؟

العم: اصبري.. اصبري لعل الله يحدث
لك بعد ذلك أمراً.

أيام: ودراستي وحلمي انتهىا.. قضى
عليهما هذا الذي لا أطيق رؤيته؟

العم: وما يدريك لعل في هذا الذي لا
تطبيقين رؤيته الخير الكثير.

التوكل

وعاد بها أبوها إلى القرية، وقضت بها شهراً كاملاً تسكب الدموع الغزيرة حزناً على حالها وضعفها، وحلمها الذي جاهدت لأجله يموت أمام عينيها، فلم تجد - وهي في حالتها هذه - إلا وصية عمها لها (كلما حزنتِ توجهي إلى الله، وكلما يئستِ من العباد فالجئي إلى رب العباد). وتكاثرت الأوجاع والأحزان بها، فأكثرت هي من اللجوء إلى الله، فانتفضت نفسها إيماناً، وسمت روحها، فزاد يقينها وتوكلها، وقوي مع ساعاتها وأيامها، حتى اعتلى على عرش نفسها إيماناً في حقها، ويقيناً بقضيتها، فزاد توكلها على الله، وعرفت أن البكاء لا

طائل منه، وأنه هو وحده بيديه كل
شيء، فلم تجد نفسها إلا وهي تجرها
تبحث عن كتب للفصل الثاني لتطالع
فيهم.

وبعد مرور عدة أيام زارها عمها برفقة
عمتها نرجس في القرية، ففرحت بهما،
وسعدت بقدمهما، ثم بثتهما شكواها
وحزنها وشوقها لهما، وأخبرها عمها
بأنه قد ألحق اسمها في سجل مدرستها،
وأنه قد أتى لها بالكتب المدرسية،
وتركهم لها في بيت أختها ليالي.

ولكن كيف يا منون سأتمكن من مطالعة
دروسي؛ فأنا حُرْم عليّ الوصول إلى
بيت ليالي؟

هذا ما قالته أيام لمنون عندما تقابلتا،
فبادرتها منون قائلة: وجدتتها يا أيام..
ثلاث ساعات في اليوم تذاكرين فيها.

- وكيف سأجد الساعات هذه؟

- سوف تأتيين عندي كالعادة لمساعدي
في العمل الكثير من بعد صلاة العصر
إلى بعد المغرب.

- وكيف يا ذكية؟ والعمل؟

- لا شيء.. تجلسين لتطالعي، وأنا من
أقوم بالعمل.

- ولكن العمل كثير وثقيل.

- لا تخافي علي، ما عجزت عنه وثقل
طلبت مساعدتك الأهم أن تذاكري الثلاث
الساعات هذه.

ومرت أيام الدراسة، وجاء موعد
اختبارات آخر العام، وعرفت أيام عن
طريق خطيبها الذي أرسل لها بمرسال
مع منون أن عمها غير موجود في
المدينة، وأنه في مهمة عمل في
محافظة بعيدة، وأن عليها أن تتصرف
إن تأخر عنها في عودته، فتراكمت
الهموم والأحزان عليها، فكيف المخرج
لتصل إلى الاختبارات؟ فتوجهت إلى الله
وهي تذكر وصية عمها لها.

وبعد ساعة دخلت عليها ليالي وهي في
حالة خوف ورجاء، فقالت لها: كيف
العمل؟ الاختبار غدًا؟

نكست أيام رأسها حزينة، وزفرت، وهنا
دخل عليهما عزم وقد رأى وجهيهما،
فسألها عن السبب إلا أنهما لم يجيبا،
وكرر السؤال، فأجابته ليالي: إن اختبار
أيام غدًا وعمي تأخر، ولم يأت في
موعدِه.

عزم: أَعْدًا.. غَدًا؟

ليالي: نعم.

عزم: والعمل؟

ليالي: لا نعلم، وما نعلمه أنها ستخسر
السنة الدراسية كاملة إن لم تختبر.

عزم: نعم.. نعم، وإذا ذهبت للمدينة
سيكون تحقيقًا جنائيًا خطيرًا من قبل
أبي: لماذا ذهبت؟ وكيف ذهبت؟ ومن
أذن لها؟

نظرت إليه أيام في حزن، ثم قالت: وأنت
أعلم بأبيك.

صمت عزم وأخذ في التفكير وقد جلس
مستغرقًا في ذلك، وبعد لحظات قال:
تجهزي بعد العصر نسافر إلى المدينة.

أيام: كيف؟.. وأبي؟

عزم: لا تحملي همًّا.. أخوك عزم
بجانبك.. المهم هو غير موجود في
القرية.

أيام: نعم.. هو مسافر، ولكنه سيعود بعد
يومين.

عزم: وأنت يا ليالي كوني معها في هذا
السفر.

ليالي: وكيف؟

عزم: وأيضاً أُمي.

ليالي: أكلنا سنختبر؟

ابتسم عزم وأردف بالقول: بل كلنا
سنسافر مع أيام.. سوف تكون أُمي
مريضة وقد أغمي عليها، وحملناها إلى
المدينة، ولأننا أسعفناها فبنتها سوف
يكونان معها طبعاً، ثم سيمرض زهو في
المدينة وأنتم لا بد وأن تكونا معه، وأنا
وأُمي سنعود بعد ما تعافت.

ليالي: ولماذا كل هذه الأمراض وهذه
القصص؟

عزم: لتتقضي أيام الاختبارات في سلام،
ثم تنتهي أمراضكم معها.

ليالي: وأبي؟

عزم: وأبوكِ سيمنع المرض؟

هزت أيام رأسها بلا، ثم ابتسمت
منشرحة الصدر، فقال عزم: إذن جهزا
أمي لتكون بعد قليل في حالة إغماء،
وأيضاً جهزا لي مبلغاً محترماً للسفر
وللقات حتى أفكر وأحبكها جيداً لعبد
الباقي.

وبعد أن مرّ شهر على الاختبارات، زار
العم فائق القرية، والتقى بأخيه طالباً
أيام لتسافر معه إلى المدينة، فقال عبد

الباقى: لن تذهب معك إلا إذا رضيت

بالخطبة، ولبست الدبلة (خاتم الخطبة).

فقبلت أيام ذلك ورضيت به.

نجاح ومكافأة

ومرت الأيام والشهور على أيام سريعًا..
فكيف لا تسرع وهي سعيدة بنفسها
وحلمها الذي بدأت أولى خطواتها إليه،
وسعيدة بالصدقات اللاتي كثرن من
حولها في المدرسة والحارة؟! ففاضت
السعادة بها حتى أنستها ماضيها
وخطبتها التي صارت لا تذكرها إلا
لحظات عابرة، والتي لا تعيرها أي
اهتمام؛ وثوقًا بربها أنه سيخلصها.

وأنهت أيام المرحلة الإعدادية، وعُرف
اسمها بين الناجحين الأوائل، فأثار ذلك
حنق حساده؛ فكل متفوق لا يخلو من
حساده، فحُمِل الاسم بدرجاته إلى أخيها

حاضر الذي بدوره لم يقصر في نقل ذلك
وطرحه أمام أبيه الذي هبّ واقفاً في
ثورة وغضب: سوف أقتلها.

ولم يصبر على ذلك فتوجه إلى المدينة،
وأتى بها يسحبها سحباً عند محطات
التنقل الخاصة بالسفر، ولن يرده حتى
نظر المسافرين والناس من حوله.

وما أن وصل بها إلى القرية، ودخل بها
إلى البيت انهال عليها ضرباً عنيفاً
موجعاً حتى أغمى عليها؛ فتعالى
الصياح حولها من أمها وأختها، وبعد
دقائق تدخل الخال (والد منون)، ومنعه
عنها وهو يحاول أن يضربها مرة أخرى
وهي في غير إدراك، فصاح فيه الخال:

خَفِ اللهُ، تقتلها لأجل كلام ينقله لك هذا
المدلل؟!!

رد عليه بحدة وغضب: إنها تدرس في
المدينة، واسمها طلع بين الرجال..
تكسر كلامي وتريد أن تحلق لحيتي.
- يا أخي، وإن.. فالدراسة والتعليم ليس
بجريمة.

- بل جريمة.

- الجريمة هي التي أنت فعلتها بها.

وأخذ الخال يصيح: ماء.. أريد ماء.

فجرت نحوه منون بالماء وقد كانت
تختبئ خلف الباب، ثم أعطته الماء،
فأخذ يرش عليها ولكنها لم تفق؛ فطلب
على الحال سيارة لإسعافها.

وبعد قليل تم إسعاف أيام إلى مستوصف القرية، وغضب الدكتور المعالج لحالة أيام، وكان الدكتور مدير المركز الصحي، فغضب بعد أن كشف على حالتها، وقرر إبلاغ قسم الشرطة والأمن، ورفع تقرير رسمي لحالتها يبين فيه أن حالتها أشبه بالمجني عليها؛ فقد تمادى حد التأديب الذي يقوم به الأب في أولاده، وأنه لا يصل إلى هذا الحد؛ فقد بلغ بها جرحين في جسمها من أثر الضرب: أحدهما وضح العظم وتهشمه وتفتته من جهة، والآخر قطع جلدها وأخذ من اللحم بسبب ضربه لها بعصا قاسية، إلا أن الخال أوقف الدكتور يرجوه ويترجاه عن فعل ذلك بالقول:

أرجوك لا تبلغ الشرطة والأمن؛ فلن يتركنا، وإن تم حبس أبيها، وجره أمام الناس فقد يُطلب منه مبالغ يعجز عن دفعها، وغرامات هو في حاجة لتوفيرها لعلاج ابنته، وأضف إلى ذلك كلام الناس الذي سيحوك قصصًا حول ذلك يمس منها.

ثم نهض الخال من جلسته ليقبل رأس الدكتور وهو يقول: الله يستر عليك استر علينا.. أنت أعلم بطباع الناس وحكمهم القاسي في كل من هن في سنها.. إنك إن أبلغت الشرطة فإنك تسيء لها هي لا لأبيها.

- إذن نتستر عليه؟ أليس كذلك؟

- لا.

- أخبرني السبب الحقيقي.

- والله العظيم كل ما في الأمر أنه بسبب
الدراسة، فقد علم من ابنه الذي هو
أخوها أنها تدرس في المدينة.

- مع من هي في المدينة؟

- هي تسكن مع عمها وهو من يشجعها
ويتولاها، وهو الآن لا يعلم الأمر هذا؛
لأنه خارج المدينة.

هدأ الدكتور قليلاً يستوعب ما سمعه، ثم
قال: ولأجل الدراسة وأنها تدرس
يقتلها؟.. أي عقل معه؟ وأي فكر؟ وأين
هو من الناس ومن العالم الذي بالعلم
وصلوا إلى القمر؟ ومن المرأة التي
وصلت إلى المناصب العالية والوظائف
المرموقة بدون العلم؟ أين كان هذا

مطمورًا؟ أم هو من عصور ما قبل
التاريخ؟ أم عصر لا عصر له إلا عصره
هو؟

- لا أعلم.. وما أعلمه أنها كانت الأولى
في مدرستها، واسمها احتل الصدارة
للأخبار في المدينة؛ فوصل إلى مسمع
أخيها الذي ما قصر حتى صار ما صار.

طرح الدكتور وجهه بين يديه
الممدودتين المأ واستياءً وحزنًا على
حالتها وهمجية أبيها، فقال: العالم من
حولنا يتسابق في العلم، ويعمل لأجل
كسر الطوق.. ونحن في الأمس بجهلنا
قتلنا بناتنا بأنهن شوم وعار، واليوم
نعيد تاريخنا الأسود، ونقتلن ظانين بأن
علمهن عار وخزي.

بكت أيام بكاءً مريراً ومقهوراً على صدر
عمها فائق الذي أتى بعد ما علم بالخبر،
وأخذت بالبكاء الشديد الذي لم يوقفه
كلام عمها لها وكلام نرجس التي تمسح
على ظهرها: أيام ابنتي وحببتي..
يكفيك هذا، ارحمي نفسك، وثقي في الله
أن فرجه قريب.. أيام توقي عن البكاء..

ولكن أيام ازدادت بكاءً؛ فبادرتها عمتها:
أيام ستقتلين نفسك بشدة البكاء هذا..
هوني على نفسك يا حببتي..

إلا أن أيام اشتدت أكثر في البكاء ولم
تقدر على أن تماسك نفسها، حتى أنها
لم تشعر بمن حولها، وأغمضت العينين
ثم أغمي عليها، فصاحت ليالي التي
كانت على مقربة منها: أختي.. أيام..

فأسرعوا حولها يرشون عليها الماء.



نسمات الأدب

عبد الله بن

الحظر المجنون

أعلن الأب حظراً على الكتب في البيت،
فأمر أسرته قائلًا بشدة: حاضر.. فتش
البيت جيدًا، وابحث عن أي كتاب، وأنت
يا عزم اصعد فوق السرر والمقاعد،
وتسلق الجدار، وابحث فوق رفوف
النوافذ والقمرينات عن أي كتاب أخفته
هناك، وأنتِ يا ليالي وأمكِ ارفعوا فرش
الأرض، بل أزيلوه تمامًا حتى لا تخفي
تحتَه كتابًا، أو تحاول أن تتلاعب بنا
وتخفيه عند حاجتها لذلك.

ويقول لهم مدويًا: يمنع دخول الشموع
إلى البيت للإضاءة؛ لأنها تستعملها في
المذاكرة، وأنتِ يا ليالي من الليلة تنامين
مع أولادكِ لوحدكِ، وأيام لن تنام معكِ

في بيتك، وكما منعتها من بيتك نهارًا
فكذلك ستمنع ليلاً.

ليالي: ولكنني كيف سأنام وحدي مع
أولادي وهي من تؤنسنني؟

الأب: بل ستنامين وحدك.. إنك
تساعدينها على المذاكرة.

ليالي: ولكن..

فيدوي الأب مقاطعًا لها وأمرًا الآخرين
بالقول: اسكتي.. لا كلام لك.

وأشار للباقيين: وأنتم هيا نفذوا ما
أمرتكم به.. كل منكم في عمله.

وعلى الحال أسرع حاضر يبحث
ويفتش، وصعد عزم يبحث بين النوافذ
ورفوفها العالية، وليالي وأمها تتخلصان
من الفرش.

ومرّ شهران على الحادثة، وقد أخذ
الحزن واليأس من أيام مأخذهما لاقتراب
نهاية العطلة، وأنها ستحرم الدراسة إلى
الأبد.

دخلت عليها منون وهي شبه ممددة
على سريرها، فجلست بجانبها بهدوء
وهي تنظر إليها بإشفاق، وقد طمس
الحزن وجهها، واغبرت قساماتها
المشرقة، وانطفأ ضياء وجهها الباسم،
وقالت منون في عتاب رقيق: إلى متى
الحزن يا أيام؟.. قومي يا بنت عمتي
وانظري لحالكِ وأنت حزينة.

تهدت أيام ولم تجب، فنادتها منون: أيام
انهضي من سريرك.. تعالي نخرج

ونجلس كعادتنا في الفناء الخارجي نلعب
ونجري ونتقاذف بالكرة والقنينات
البلاستيكية.. أين أنتِ يا أيام وضحكك
ومزاحك الذي يحرق أعصابي ولكنه
يسعدني؟! أيام.. أيام..

إلا أن أيام التزمت الصمت، والدموع
تتساب من عينيها.

وانقضت الشهور الثلاثة على العطلة
المدرسية، وجاء موعد الدراسة الذي
يسبقه فترة التسجيل للطلبة قبل
الدراسة، فانشغل العم فائق بأمر دراسة
أيام وكيف ستدرس، فأشرك نرجس
بالأمر وكان هذا الحوار بينهما..

فائق: كيف العمل؟ المدارس بدأت تفتح
باب التسجيل، والدوام بعد عشرة أيام
من اليوم.

نرجس: قُل لي.. كيف هي الآن؟ وتزفر
بألم، ثم تقول: بالتأكيد تعد الأيام
والساعات لموعد الدراسة.

- نعم.. إنني أخاف عليها أن تعمل في
نفسها شيئاً إن استبدّ بها اليأس من
الوصول للدراسة.. إنها أكثر شغفاً
للدراسة، وغير البنات اللاتي في
عمرها.

- وما هو الحل في اعتقادك يا فائق؟

- بزفرة: الحل بيد الله، ثم الأنيأس في
البحث عن مخرج، ولعل مدرسة تقبلها
إن شاء الله.

- فائق.. لو ذهبت لإدارة المدرسة،
وشرحت لهن أمرها.. ألن يقبلوها
دراسة (منازل) مؤقتًا حتى نجد لها حلا؟
- لا أظن أنها ستقبل.

- إنها متفوقة.. بل حصلت على امتياز
وهو سبب ما جرى لها، ألا يفهم
لوضعها؟! بل كان الأجدر بهن أن يرفعن
من قدرها على ما أصابها في سبيل
التعلم والدراسة، ويكافئنها على ذلك.

- نعم.. ولكن النظم واللوائح وقوانين
المدرسة..

- تقاطعه: ولكن تبقى روح الإحساس
الآدمي بالغير وهو مكبل تمنع عنه
الحياة.. أيام دراستها هو روحها الذي
تحيا به.

- يا نرجس.. لا تحكنا العواطف، ولا
تنظما المشاعر.. بل القانون والنظم.

- إذن تموت أيام، وتموت غيرها
وغيرها ممن هن مثلها تحت مسميات
نظم وقوانين، وغيرنا يتلاعب بها..
فائق اذهب لإدارة المدرسة، بل سأذهب
أنا معك لأشرح للمديرة، وأخاطبها
خطاب امرأة لامرأة، وأضعها في صورة
معاناة أيام وسجنها الفريد من نوعه
الذي يضعها أبوها فيه، ويحرمها من
حقها الإنساني والقانوني.

- لا يا نرجس.. تمهلي لن نسير وراء
عواطفنا؛ فكل فعل مناله ردة فعل من
عبد الباقي، فهو شديد وعنيد ومتهور..
فلنعالج أمورنا، ونسيرها بحكمة

واتزان، ولا تنسي أن أيام ما زالت عنده
وفي سجنه الذي تقولين عنه.

صمتت نرجس وقد تفهمت كلامه، ثم
قالت: أنت أعلم بطباع أخيك وجنانه.

أمعنت مديرة المدرسة في تفاصيل
التقرير (تقرير الدكتور في مستوصف
القرية) الذي وضعه أمامها العم فائق،
وبعد ذلك أطرقت المديرة قليلاً، ثم
تهددت، وهزت رأسها في ألم بالقول:
يفعل بها كل هذا لأنها تريد أن تتعلم؟!!

بادرتها نرجس التي كانت تجلس على
المقعد الآخر: نعم.. يوم صار المعروف
منكرًا.

فائق: والآن ما هو الحل وهو يرفض
دراساتها، والمدرسة تطلب الحضور
وهي لا تستطيع الحضور؟
المديرة: ولكن...

نرجس: يا مديرة.. أرجوكِ ابحثي لها
عن حل، فالتقرير أمامك، وحالها بيناه
لكِ.. كوني بجاهكِ عونًا للضعيف الذي
تقطعت به السبل، واشفعي له تشفعي.

المديرة: طبعًا.. طبعًا سأكون عونًا لها
وسندًا؛ فهي فخر لكل امرأة وبنت.

ثم رفعت سماعة تلفونها الثابت،
وحركت قرصه، وأجرت اتصالين
متتابعين لدائرة التربية لشؤون المدارس
والطلاب، وبعد انتهائها وضعت السماعة
قائلة: التقرير هذا سوف يحفظ في إدارة

المدرسة، وسوف نعد تقريرًا آخر يصاغ من هذا التقرير ومن سيرتها وسلوكها داخل المدرسة؛ ليكون بمثابة شهادة توثيق لها لتُعد لها إدارة المدرسة شهادة شكر وتقدير لنضالها، وليكون التقرير لصيقاً محفوظاً في ملفها المدرسي.. واطمئنوا تمامًا، وطمئنها أنني قبلتها في مدرستي مع التحية لها والإجلال لنضالها.. لكن أرجو حضورها في اختبار النصف الأول، وهذا للضرورة القصوى؛ وإلا ستحرم من حضور النصف الثاني. أرجوكم تعاوننا معي في حضورها، وأنا سأبذل جهدي؛ فهي تستحق كل ذلك.

نرجس: دعي كل عملك وتحركاتك داخل
شؤون المدرسة فقط، واستري خبرها
ألا يتسرب؛ فقد يتسرب الخبر لأبيها.
المديرة: لا تخافا إن شاء الله لن يعرف
أبوها شيئاً.

وصل العم فائق القرية وهو يحمل الكتب
المدرسية لأيام، ويحمل لها خبر قبول
دراستها (منازل) في إحدى مدارس
المدينة، إلا أن ليالي أخبرته هامسة
بالقول: أرسل الكتب إلى بيت عمتي.. إن
أبي حذر علينا مزاوله الكتب في البيت.
ارتمت أيام فرحة في صدر عمها.

أيام محبة للعلم، بل عاشقة له
والدراسة، وتطمح إلى الوصول لما هو
أعلى وأرقى، وعمها وعمتها نرجس
يرعيان ذلك ويشجعانها، إلا أن حاضر
أخاها ظل يتبعها، ويتبع خطاها
وتحركاتها، حتى فهم يوماً بفهمه
الخبيث أن عمها قد ألحق اسمها في
إحدى المدارس، وعند زيارته الأخيرة
للقرية حمل إليها الكتب، وتركهم لها في
بيت عمتها، ففسّ الخبر في مسمع أبيه،
فهبّ في ثورة نحو أخته، ودخل عليها
وهو يتقد ناراً وغضباً: أين الكتب؟.. هيا
تحركي هات الكتب.

- أي كتب؟

- الذين أخفاهم عندك فائق.

- ما بك يا أخي؟.. انظر لنفسك وأنت
تتصبب عرقًا، وتلتهب نارًا، ما بك؟..
أجنت؟.. تسير خلف كلام حاضر ابنك،
تجري تبحث عن أوراق.

- أبحث عن كتب وليس أوراقًا.

- وإن كنت كذلك.. فالكتب تصان وترفع
مثل الجوهرة، لا تحظر وتحرم.. يا أخي
بالكتب كانت الرسائل السماوية،
وبالكتب ما زالت تتعامل وتتخاطب الأمم
الإنسانية، وبالكتب ترفع شؤون
الشعوب، ويزهو مجدها، والكتاب والقلم
سلاح في ميادين السلام، وفي الكتب
خطوط خطته الإنسانية حاملة الخير
والنفع للناس.

- أتيتك أبحث عن كتبها التي هي سبب خروجها عن طاعتي؛ فجادلتني في كتب لا أعنيها.

- أولاً: ما كانت الكتب سبب عقوق أو عصيان، وثانياً: إن كنت تعني بالكتب هذه التي تبحث عنها أو غيرها من كتب فكل كتب سُكبت من أجلها وإخراجها عسارة جهد وعناء أصحابها لسنوات طويلة حملت في مجملها خيراً ومنفعة للناس.

التهب غضباً وغيظاً من كلام أخته، فقال: وأنت من أين لك هذا الكلام الكبير؟

- بل هو كلام معروف ومتعارف عليه، والذي عرفته، وتعلمته منذ كنت

صغيرة.. علمني إياه جدي يرحمه الله،
أم لأنك ترفضه ستتكره، وتهرب منه كما
كنت تهرب من التعليم عند صغرك.

- اسكتي وإلا أسكتك.

- يا أخي إلى متى وأنت تطارد البنت؟..
ما الذي جنته حتى أخرمت آذان
الناس؟.. الكل سمع بالخبر حتى الشرطة
والأمن.. يا أخي اتق الله، العلم ليس
بعيب أو حرام.. العيب الذي أنت تفعله
بها، وتسمّع الناس بها. يا أخي اعقل
من جنونك، أنت تسمع لطائش مثل
حاضر ابنك الذي يلفق التهم زورًا.

لم يتماسك نفسه فضربها على وجهها
قائلًا: اصمتي يا كلبة.

ثم أخذ يفتش في البيت يبحث عن كتب،
وبعد أن سئم التفتيش ولم يجد شيئاً
خرج وهو يلهث.

وبعد قليل وصل زوجها قائلاً لها وقد
علم الخبر: بأي حق يأتي أخوك ويفتش
البيت؟

-أخت عبد الباقي: إنه مجنون.

- فليركب جنانه بعيداً عن هنا.. أحقاً
ضربك؟

- لا عليك.. إنه معذور بجنانه.

- ألقى شيئاً مما يبحث عنه؟

- لا.. إن الكتب قد أخذتها منون قبل أن
يصل.

غيرة محمودة

وفي ليلة أحسنّ فيها شامل بالضيق
والحزن، فلجأ إلى أخيه عزم لعله يجد
عنده هو بالذات ملاذه وهدوء نفسه؛
فهما متساويان في الأهمية، وبعد
لحظات من الصمت هتف شامل: حال
أبي معنا لا نظير له بين الناس، بل هو
بالذات لا نظير له في تعامله وقسوته.

عزم: وإن كان كذلك فنحن اعتدناه،
واعتدنا ذلك ونحن أولاد لا بنات. غداً
نصير رجالاً نحمل مسؤوليات، ونستقل
عنه، ويكون لنا حالنا وحياتنا الخاصة
بنا.

ضحك شامل ساخرًا بالقول وهو يهز
رأسه: ننفصل عنه.. متى يكون ذلك؟

- نعم.. نعم لم نسعَ لذلك، ولم نفكر فيه،
قالها وهو يتهد.

- أكثر ما يؤلمني أيام وهي تكتوي
بجحيم ظلمه وهي امرأة.. لم تسعَ لما
يسيرنا به خلفه غيرها، بل كل ما تريده
هو أن تتحرر من قيوده، فعلمت أنه لا
خلاص لها من فك القيد إلا العلم
والشهادة.

- نعم.. إنني عندما أفكر في أيام
وتصميمها على الدراسة حتى ولو
خسرت عمرها لأجله يحرك في شعورًا
يؤنّبني ويحزنني.. كيف بالبنات تصمد
لأجل تحقيق حلمها ووصولها إلى
غايتها؟.. ونحن الأولاد لم نفكر به، بل
لا وجود له في بالنا.

- الذي يسكن صدرها لا وجود له في
داخلنا.. هل سألت نفسك يوماً لماذا لا
يكون تفكيرنا منصبا فيما هي تسعى إليه
وتتاضل؟ أو يكون لنا طموح يشبه
طموحها ولو قليلاً؟

- بل لا يوجد لدينا حلم نسعى لتحقيقه
مثلها.. كلانا يا أخي.

- أنا إن شاء الله سوف أسافر للدراسة
عند خالتي في أقصى البلاد؛ فهناك تم
افتتاح فروع لبعض الجامعات، وسأقدم
بما معي من معدل، وسأعمل وقت
فراغي لأوفر مصروفي ومصروف
دراستي.

- وهل ضمنت القبول؟

- إن شاء الله.. فالمنطقة هناك نائية تقبل
بالمعدل القليل.

- ومتى قررت، ولم تخبرني؟

- لقد كلمني عمي بذلك عند آخر زيارة
له إلى القرية، وأنا درست الأمر جيدًا
وبإذن الله سأسافر، وإن لم أتمكن من
الدراسة فسوف أعمل هناك أي عمل.

- وأبوك هل أخبرته؟

- وهل أنا صغير كي أستأذنه، أو امرأة
يمنعني، ويقيدني مثل أيام؟! سوف أترك
له خبرًا أنني سافرت وكففيه ذلك.. وأنت
ستظل على ما أنت عليه؟.. ألن تتحرر
بعد؟

زفر عزم بالقول: سوف أفكر جيدًا، لعلي
أعيد السنة الدراسية، وأذاكر وأختبر،

وإن شاء الله لا أتذكر كلمة أبي لي..
فاشل.

وبدأت أيام مشوار المذاكرة الذي عمره
ثلاث ساعات في كل يوم.. فهل ستجد
وقتًا كافيًا لمذاكرة أكثر من عشر مواد؟
وماذا ستعمل؟.. فهذا المقرر لها وهو
وقت خروجها من البيت إلى بيت خالها
بحجة إعانة منون في عملها الكثير.

في غير حساباتها .. قدر أم فرج

تسرب الخبر سريعاً ومفاده أن راسل
الليلة سيكمل مبلغ المهر لعبد الباقي،
وسوف يتفقان على تحديد موعد عقد
القران والزواج، وكان ذاك الخبر الذي
دخل أبوها به عليها: زواجك بعد
أسبوعين من الآن.. حضري نفسك.

انطبقت أيام على سريرها باكية بقهر
وحزن وألم، وليالي أختها ومنون ابنة
خالها ونعمات صديقتها حولها يردن
إقناعها بالكف عن البكاء، ويحاولن
جاهدات أن تسلم لهذا لعل فيه راحتها
من تعبها في بيت أبيها، فقالت بحرقه
في وسط دموعها المنسكبة: يا رب
ارحمني.

وكادت أن تشق ثوبها إلا أنهن منعها
من ذلك، وهي تقول: لا أريد زواج.. لا
أريده.. سأقتل نفسي إن تزوجت ابن عبد
البر.. أخوه أذاق أختي ويلات العذاب
والقهر، وهو يريد أن يعيد ما فعله أخوه
بأختي. منون، كلمي أبوك يمنع الزواج
هذا.. كلمي خالي أرجوك.. أرجوك يا
منون.

ثم تشبث بها باكية، وتبكي منون معها
قائلة: يا بنت عمتي.. أبوك قاسٍ وعنيد
لن يتراجع عن أمر أقره، وأيضًا والحق
يقال: إن راسل يختلف عن ساهل، كما
أنه يحبك منذ الصغر.

لم تنم أيام ليلتها.. بل ظلت باكية على
سريرها، وأختها وابنة خالتها بجانبها،
وفي ساعات الليل الأخيرة وصل عمها
إليهم، وبكت أيام بكاءً شديداً ومقهوراً
على صدره، وسالت دموع عينيه معها،
وانتظرها حتى هدأت قليلاً، فقال بصوت
رقيق: يا ابنتي ثقي بأن الله ما أرسل
الأمر هذا وأنت في أشد وأحلك أمورك،
إلا لأنه فرج منه.. وكما أخبرني هو
سابقاً أنه بزواجه هذا الذي هو سابق
لأوانه، وما أقدم عليه إلا لتخليصك من
سجنك هذا، ولأجل مواصلة تعليمك.. هو
لا يملك المال، وإنما استدان كي يغيثك
مما أنت فيه.

- يا عمي أنا لا أريده، ولا أريد الزواج..
إنني أكرهه.

- يا ابنتي الشاب طيب، وقلبه يتمزق
على ما تعانیه، وما أقدم على الزواج
وهو غير مستعد ماديًا إلا لأجل إنقاذك
مما أنت فيه، وأيضًا هو يحبك.

فتصيح هي باكياً: لا أحبه ولا أطيعه.

فيحاول تهدئتها: يا بنتي اهدئي وهدئي
من روعك، وعسى أن تکرهوا شيئاً
يجعل الله فيه خيراً كثيراً.. حتى أنه بعد
زواجه سيسكنك في المدينة؛ فقد استأجر
بيتاً حتى توأصلي دراستك في المدينة،
رغم أنه يملك غرفة هنا بناها من ماله
الخاص وهي في حوش بيتهم، وتعذر
لأهله أن عمله في المدينة، ولا يستطيع

السكن في القرية، والحقيقة أنه يريد
إقناع أمه وأهله بذلك، وبعد أن يتزوج
سيترك لك حرية السكن عندي للدراسة،
وهو سيسافر إلى الخليج للعمل.. ابنتي
ارضي واقتنعي أن زواجك هذا فك لقيد
أبيك عنك، وبعدها ليس له عليك حق.

- يا عمي إنه كلام مثل كلام باقي الرجال
المليء بالأمانى والوعود الكاذبة.

- بل تعهد لي بذلك.

- لا تصدقه يا عمي.

- لا يا ابنتي.. الابن كما عرفت عنه،
وسألت صدوق ومولع بحبك منذ صغره.

وفي الصباح دخل عليها الغرفة فوجدها
على شق في سريرها والدموع تنهمر،

فوقف بجانبها ينظر إليها، ثم سحبها من
يدها برفق قائلاً بحنان: هيا قومي يا
حبيبتي اتركي الحزن.

فنهضت أيام جالسة، وجلس بجانبها، ثم
نظر في عينيها، فرفعت رأسها ناظرة
في عينيه، فرأت نظرات الرحمة المشعة
بالحب والرفق؛ فلم تتمالك نفسها وهي
ترى هذه النظرات التي تفتقدها من أعز
الناس إليها، فارتمت عليه باكية، فسالت
دموعه وهو يضمها، ويقبل رأسها، ثم
يقول: لا تخافي شيئاً يا أيام.. أنا
بجانبك، سوف أكلوك، وأظل سداً مانعاً
لك ما حييت.. أنتِ فقط اسمعي كلامي
حتى تخرجي من بيت أبيك، وثقي بأن
من لم يحالفها حظها بالسعادة في بيت

أبيها ستجدها عند زوجها، والزوج يا
بنتي غير الأب، ولو كنت لا أرى لك في
زواجك هذا الخير والسعادة لوقف
لأبيك، ومنعت الزواج هذا مهما
يكلفني؛ فانت يا أيام أغلى ما عندي.

فاشتدت في البكاء: يا حبيبي يا عمي.

الرضوخ

كانت أيام شبه متكئة على سريرها في
هدوء، والآلام تحاصرها، ومنون جالسة
بجانبها على السرير، وليالي على
كرسي بالمقربة منها، والصمت يلف
المكان بهن، وبعد لحظات نطقت منون
قائلة: ما رأيك غداً نساfer إلى المدينة
كي نشترى حاجات العرس والزفة؟
نظرت إليها أيام ثم زفرت، وهزت رأسها
بنعم، فنهضت ليالي نحوها تقبلها
وتقول: مبروك.. مبروك يا حبيبتى.
وقبلتها منون مستبشرة: مبروك يا
صديقتى.

لم تجد أيام من مخرج لها إلا الرضا
والصبر عملاً بنصيحة أحب الناس إليها
عمها، وأن الأمر هذا قد يكون فرجاً
ومخرجاً لها؛ فسلمت أمرها إلى بارئها،
وأرخت أطرافها للتي هي أمامها وهي
ناقشة الخضاب والحناء، وكما هي
العادة وقبل موعد الزفاف بيومين يكون
يوم النقش للعروس، وتعالى أصوات
الطرب والزفة، واجتمعت نساء الأهل
والأحباب حولها ينظرن إلى النقش التي
ترسمه لها المنقشة على يديها
وذراعيها ورجليها حتى أعلى ظهرها،
وبعد انتهائها طلبت منها المنقشة
الوقوف لوضع اللمسات الأخيرة على
مؤخرة قدميها، فنهضت واقفة وهي

تدنو تنظر إلى النقوش، فتدلت شعرات
من مقدمة شعرها المتسلسل على مقدمة
وجهها، فنهضت نحوها منون ترفع لها
شعرها، وليالي تجاهد بصعوبة رفع
الثوب عن النقش الذي كان ثوبًا قصيرًا
يناسب ذلك، وفي هذه اللحظات كان الكل
ينظر إليها، فكانت آية في الجمال
والحسن، ثم ترامى إلى أسماعهن صوت
الأطفال يجرون يزفون البشري بالقول:
ضيوف لقد أتوا.. ضيوف..

وما هي إلا لحظات حتى دخل عليهن
جمع من نسوة عمدتها نرجس وناهد
وأمهها ورفيقتها مهجة وصديقتها
العزيزة معتزة وربى، فنهضت أيام
مستبشرة فرحة بهن، وشرعت تأخذ

الواحدة تلو الأخرى تحتضنها وتقبلها،
وهن لها مهنئات ومباركات، وعندما
ضمتها معتزة تقبلها ندت من عيني أيام
دموع تشكو إليها ما هي فيه، فحاولت
معتزة عبثاً مداراتها بالقول: يظهر أن
الخضاب أثر على عينيك.

ليلة الزفاف

وفي المنصة المخصصة للعروسين أذن للعريس بالدخول على العروس والقعود بجانبها، فدخل وكشف عن وجهها غطاء الطرحة كما هي العادة، ودفع ثمن ذلك لمن تقف بجانبها، وبعد ذلك نظر إلى وجهها وإذا به يراه ممتلئاً بالدموع وهي مطرقة، ورأت ذلك ليالي التي كانت واقفة بجانبها على المنصة؛ فتضايقت، واستاءت وهي ترى جموع الحاضرات ينظرن ويتغامزن، فهمست لها في أذنها: الدموع ستفسد زينتك، والمساحيق التي على وجهك ستزول.

إلا أن أيام انفجرت بالبكاء، ونشجت، وحاولت كبت ما بها دون فائدة، فهتفت

بها أختها: أيام تمالكي نفسك.. أيام ما بك؟

ثم همست لها في أذنها: لا تفضحينا.

وفي هذا الوقت سعد العم فائق نحوها للمنصة وهو يبتسم لها يهنئها، ويقبلها، وما أن اقترب منها حتى رمت برأسها على صدره ترمي بحزنها، وتشكو له ما بها، إلا أنه همس لها: ماذا قلنا يا أيام؟.. اصبري إن الله مع الصابرين.

ثم طوّق جيدها بسلس ذهب، وقال: ألف مبروك يا ابنتي.

وهمس لها مرة أخرى: لا تخيبي أملي فيك.. تمالكي نفسك، وتقوي لأجل حلمك وتحقيقه.

وهنا شعرت أيام ببعض الاطمئنان
لكلامه، وبدأت تهدأ، ثم صعدت نرجس
المنصة، وهنأتها وهي تقبلها، وأبستها
خاتمًا على إصبعها، ثم هنأتها مرة
أخرى ودموع الفرح ظاهرة على
وجهها، وهمست لها: كوني ابنتي التي
أثق بها.

وبعد لحظات طُلب من العروسين
الوقوف ليتبادلا تقليد كل من الآخر عقد
الفل، ولأجل التقاط الصور لذلك، وبعد
أن طوّق جيدها بعقد الفل الطويل،
تثاقلت هي في ذلك، فتقدمت ليالي ترفع
يديها تحملها على تطويق عنقه بها
وهي تقول في همس على مقربة من

أذنها: يا أيام عيب ما تفعلينه.. هيا قلديه
عقد الفل.

فطوقته بعقد الفل وهي لا تنظر إليه،
فرأت النساء ذلك، وتعالى همساتهن،
فوصل إلى مسمع ليالي: إنها لا تريده..
يقولون: أبوها غصبها.. إنها لا تطيق
حتى رؤيته.. إنها تعشق شابًا في
المدينة.

وسمعت أصواتًا أخرى تردد: إن كانت
تحب غيره فلماذا تتزوجه وتظلمه؟..
أبوها أجبرها.

ثم رأت وجوههن وهن يتغامزن عليها،
فاقتربت إلى أذن أختها بالقول: أسمع
ما يقلنه؟.. إنهن يرمينك بتهم باطلة..
اعتدلي يا أختي لأجل نفسك.

قالت لها والعروسان قد أخذتا مقعديهما
لأجل لبس الخاتمين، وكانت أخت راسل
هي من تعطيها الخاتمين، وبدأ راسل
بتلبيسها الخاتم، ثم سلمت أيام الخاتم
لكي تلبسه وهي تنظر إليها بحنق،
فأخذت أيام الخاتم منها وقد رأت منها
ذلك، فأرخت قسماات وجهها، وضغطت
على أوجاعها بداخلها، وارتسمت
البسمة في وجهها قائلة وهي تلبسه:
مبروك.

لم تسعه الدنيا بما قالت له فقال: بل ألف
مبروك لك.

وتعالى الهمسات من الحضور يتعجبين
ذلك.

وبعد إتمام المراسم أقلتھما السيارة إلى
المدينة، حيث إقامتھما في الشقة التي
استأجرھا، وتبعتهما سيارة أخرى تحمل
بعضاً من أهلها وأهله.

ليلة عروسين

دخل العروسان غرفتهما، وأراد بعض
الحضور الدخول خلفهما إلا أن العممة
نرجس منعتهم قائلة لهن: يكفيكن هذا..
العروسان بحاجة للهدوء والنوم.

فسمعت صوتًا يقطعها بنبرة خشنة:
ليس وقت هدوء أو نوم.. وإنما وقت
ثبات وإثبات.

التفت نرجس إلى القائلة، فإذا هي ابنة
خالة العريس، فأرادت نرجس الرد إلا
أن أم العريس قالت: نعم.. لا ننام نحن
ولا هما.. لن يناما أو يهدأ حتى نرى
جدارتهما، ويريانا الإثبات.

نرجس: أي إثبات هذا؟

أم راسل: لا تعرفينه؟.. أحقًا لا تعرفين
ما هو الإثبات؟.. الذي يُعرف به الرجل
رجلاً والمرأة بنتاً.

نرجس: لا تستعجلي الأمور يا أم ساهل،
ودعي العريسين على راحتهما.

بجدة: لا.. الكل هنا ينتظر.. والكل لن
تنام حتى نستلم البراءة.

وبعد ساعة تمكنت نرجس من إقناع أم
ساهل بالانتظار، وأدخلتها الغرفة الثانية
وخلفها جماعتها قائلة: اهدي، وأريحي
نفسك يا أم ساهل.. بعد ساعة أو أكثر
سترين ما يسرك.. هيا اجلسي.

وبعد اطمئنانها بعدم خروجهن ذهبت
نحوهما.

طرقت باب الغرفة عليهما طرقًا خفيًا
لكي لا يسمع الجمع المنتظر، ثم دخلت
عليهما فوجدت أيام تجلس على طرف
السرير بلباسها الأبيض وكامل زينتها إلا
من مساحيق أفسدتها دموعها المنسابة،
والحزن البادي الذي بدد جمال وجهها
وهي مطأئمة رأسها، وراسل يجلس
على مقعد بعيد عنها خلف السرير، وقد
حصره الأسى والحيرة.

جلست نرجس بجانبها في هدوء ورقة
تخاطبها: ابنتي.. إن الجمع ينتظر منكما
عادتهم وعادة كل الناس في الليلة
الأولى للعروسين.. هيا يا أيام اخلعي
عني أثقالك، واغسلي شعرك لتتخلصي
مما عليه.

ترد عليها بحزن وتذمر: لا.. لا..

ثم تتفجر باكية، فهبّ راسل واقفاً
يخاطب نرجس قائلاً: لا يا عمتي
نرجس.. دعها على راحتها.

وبعد قليل من الوقت كانت ليالي ومنون
يساعدنها في التخلص مما عليها من
أثقال وزينة، ثم لبست ثوباً (روباً
عاديّاً)، وامتعت أن تضع على جسمها
أي عطور أو روائح، أو أن ترتدي ثوب
نوم أمامه.

يئست أختها وابنة خالها وعمتها نرجس
في إقناعها، والحضور ما زال ينتظر،
ومر الوقت عليهن ثقيلًا، وتمكن بعد ذلك
جهد السفر منهن، فنمن جميعًا، منهن
ممدد، ومنهن متكئ على جنب، فدخلت

عليهن نرجس، فوجدتهن على هذه
الحالة، فاستغلت ذلك، وأتت بالعم فائق،
وأدخلته على أيام، وبدوره خاطبها برقة
وحنان قائلاً: ابنتي.. هو رضي بكل
شروطك، وتعهد لي بأن يتركك تواصلين
دراستك.. بل وأبدي مساعدتك ومجاهرة
أبيك إن كشف أمرك.. فماذا تبقى لك؟!
أيام لا تقهره أمام أهله.. أمه سليطة
اللسان وهو طيب، فلا تجعله عرضة
لكلامها واستفزازها له لأجل رضاك فيما
تريدينه.. ارضيه أنت.. أيضاً.. فيما طلب
منه وليس ما يريد.. ابنتي دعيني أرفع
رأسي بين الجمع المنتظر والآتي، وكى
أعلمهم أن ابنتي التي ظلت في حضني
سنوات صدق الوثوق بها، وأنها حقاً

تستحق كل كلمة ثناء ووثوق ومدح
وشموخ.. ابنتي دعيني أشمخ بكِ.

طأطأت أيام رأسها باكية، وعلا نسيجها،
وفي هذه اللحظات دخل راسل عليهم،
وقد كان في الحمام، فقال: عمي
أرجوك.. اتركوها.. دعوها على راحتها.

ثم خرج العم، وظلت نرجس بجانبها، ثم
هتف راسل قائلاً: اطمئني يا أيام.

نظرت إليه نرجس، وتذكرت أمه
وتصميمها على ما تريد؛ فاقتربت من
أيام، وهمست في أذنها: لا يا ابنتي..
حرام ما تفعلينه فيه.. إنكِ بهذا تكسرين
اعتباره أمام أهله، وتحظين رأسه في
الأرض.. دعيه الليلة ولكِ بعدها ما
شئتِ.

لم تستطع أيام الكلام إلا بلا وهي باكية،
وتزداد في البكاء، فمسحت عمتها
نرجس على كتفها قائلة: أيام ابنتي..
تعلي.

أيام: اتركيني يا عمتي في حالي.

زفرت العمّة نرجس وهي محتارة في
الأمر، ثم نهضت وقالت لراسل: ابني
تصبر.. كل البنات يصيبهن الفرع والهلع
من هذه الليلة.

اقترب راسل قائلاً: أرجوك لا تخافي..
لن أمد نحوك شيئاً يخيفك.

وبعد لحظات صحت واحدة من الجمع،
وتمكنت من سماع كلامهم وهي
تتلصص عليهم، وعرفت ما كان يدور
خلف النائمات، وهو عدم رضا أيام

براسل، ورفضها الرضوخ لمسلمات ليلة العرس، ودخول عمها عليها، وسمعت بعضًا مما قاله لها وبكائها، فتوجهت نحو أم راسل ثم الباقيين تخبرهم.. وما هي إلا لحظات حتى انتشرن في الصالة تتقدمهن أم راسل، ونحو غرفة العريسين هرعت تدق عليهما الباب بشدة تأمر ابنا الإسراع والإنجاز.

هزت طرقات الباب العنيفة هدوءهما وسكينتهما، فتحرك في نفسه مراجل الرجولة الواثقة المعتدلة، ونظر إلى أيام، ونظرت إليه فرأت قسمات وجهه المتغير، فانتشر في داخلها الخوف والهلع، فأسرع هو نحو الدولاب، وأسرع قلبها في تدافع دقاته، وارتعشت

مفاصلها، وتتابعت طرقات أمه على
الباب، فزاد الخوف في داخلها، وظنت
به الظنون، فأطرقت رأسها والرعب
يملؤها تنتظره وتنتظر ردة فعله فيها،
وظلت منكسة رأسها وقتاً ليس
بالكثير حتى خطف هدوءها وهو يسرع
نحو الباب، ففتحه قليلاً ورمى لهن
بقطعة قماش، وأقفل الباب مسرعاً،
وتعالى إلى سمعهما آيات التهليل
والزغاريد والصياح، فنظرت نحوه
باستغراب: ما الذي حصل؟

فرأته جالساً على مقعد رافعاً ثوبه عن
رجله التي يسكب منها الدم، ورأت في
يده خنجراً، فشردت برهة ولكنها
وبحسها فهمت ما كان منه (تضحية)

ورأت أنه أمر يستحق أن تصمت وتخجل
لأجله، إلا أن الدم الخارج زاد، ولم
يتوقف، وقطرات منه سقطت على
الأرض، فنهضت مبادرة كي توقف الدم،
وقد أفجعها قطراته المنسكبة، فأسرعت
تخرج قطعة قماش، وربطت بها الجرح
حتى توقف الدم قليلاً، فجلست على
الأرض قبالتة تنتظر خروج الدم مرة
أخرى، وأثناء ذلك رأت وقد نادت عن
عينيه الدمعة، فنكست حياءً منه وألماً،
وهو يتألم بسبب الجرح، وبعد قليل من
الوقت، والصمت يفهما إذا بالباب

يُطرق، فقال راسل: من؟

فقالت: أنا عمك نرجس.

راسل: ادخلي يا عمّة.

دخلت عليهما، ورأت ذلك.. هدوء أيام
وسكونها يدل على أنه لا يوجد شيء..
بل أيام تطيب جرحًا لراسل، ما هذا؟
وماذا أرى؟

نظرت إليهما نظرة تساؤل صامت
ملفوف بالحيرة والاسـتغراب، قطع
صمتها وهو يقول بحياء: ما طلب منا
نفذ يا عمتي.. اطمئنا.. أيام بخير..

نظرت إليه العمّة نرجس تتفحص
وجهه، ثم هزت رأسها وقد فهمت،
فقالت بعتاب مشفق: وأنت بخير؟.. أم
كل ما يعنيك أن تكون أيام بخير؟

صمت راسل ونهضت أيام نحو السرير
جالسة، فتقدمت منها نرجس قائلة: هيا
تظاهري لهن.. سيأتين حتمًا نحوكما

ليتأكدن من ذلك.. هيا البسي ثياب النوم،
وانكشي شعركِ.

ثم خطت العمة نرجس نحو التسريحة،
وانتقت لها بعضاً من عطور وخططات
عرائسي، وباشرتها بالقول وهي تدفعها
لها: هيا تعطري وتعرفي.. هيا قبل أن
تأتي أم راسل.

وما أن مرت الدقائق القليلة حتى دخلت
عليهما، وقعدت على مقعد تتفحص
وجهيهما، إلا أن أيام التي كانت ممددة
على السرير وحسب نصيحة نرجس لها
تظاهرت لها - وهي تلتحف غطاء
السرير - بأنها تتألم، ثم تغطت بكامل
الحناف، وأتوت على جنب وهي تصدر
بعض الأنين، أما راسل فانتصب جالساً

من تفتح الأوداج، يظهر لها الشدة
والخشونة، وهو يقول: أهلاً أمي.. أهلاً.
لم يناما، بل ظلا جالسَيْن مستيقظين،
هي على السرير قاعدة على جنب،
وكتفها مسند على أعلى السرير، وكفها
على خدها، وهو يجلس على مقعد،
والصمت المطبق هو من يلف خلوتهما،
وظلا على ذلك حتى بدأت تباشير
الصباح.

وفي ساعات الضحى الأولى وصلت
الجموع المهتئة من بعض أهلها وأهله
وصديقاتها وبعض المشاركات في جمع
التبعة كما يطلق على من تتبع العروس
في بيت زوجها يوم الصباحية، وظل
راسل في الغرفة حتى خرج منها ظهراً،

وبعد ذلك دخلت عليها المهنيات،
وامتلات الغرفة بهن، منهن المهنيات
حقًا، ومنهن غير ذلك، وأثناء ذلك تنادى
إلى سمعها سؤال تسأله إحداهن لأخرى:
هل حقًا دخل بها وتمت مراسم الليلة
وأنجزا؟

فأجابتها الأخرى: نعم.. نعم..

فسمعت ناهد ذلك؛ فقد كانت بينهن،
وكانت في خدمة أيام لهذا اليوم.

وبعد أن خلت بها سألتها: أحقًا ما يقُنه؟

لم تجب أيام، ثم نظرت ناهد في عينيها
نظرة تساؤل عاتب، إلا أن أيام زفرت،
ثم هزت رأسها تجيبها بلا، فقالت لها
برقة: لماذا يا أيام؟

وبعد العصر جلست أيام على كرسيها
المعد لها للجلوس عليه في هذه
المناسبة، وقد لبست فستاناً وردياً لامعاً،
وتزينت فكانت آية في الروعة والجمال،
وتجمهر الجمع حولها جالسات فرحات،
ومنهن من نهضن على أصوات الطرب
والغناء، فأقمن حلقات ملتفات يرقصن،
ويتمايلن على وقع وأهازيج الألحان،
حتى سرقهن الوقت، وتسحبت عقارب
الساعة معلنة انتهاء ساعات المساء،
فانتبهن لذلك، فأعلنت ابنة خالة راسل
بأنه حان وقت الرجوع إلى القرية.

وقبيل المغرب حملت الجموع المهتئة
أشياءها، وعادت إلى القرية، وبعد
لحظات خلا البيت، ولم يتبق إلا ليالي

وعمتها نرجس وناهد، عندها اطمأنت أيام بخلو البيت؛ فطلبت من عمتها نرجس أن تخبر راسل ألا يأتي إلى البيت؛ لأنه على حسب شروطها بانتهاء ساعات يوم الصباحية وبعودة جموع التبعة هو لا يعود إلى البيت، وهي ترجع إلى بيت عمها.

أخبرته العمّة نرجس، ولكنه تغل -وهو يقف على الباب يريد الدخول- أنه قد نسي شيئاً مهمّاً، ولا بد أن يأخذه بنفسه، فساحت له بالدخول، فدخل عليهن، وتوجه نحو الغرفة، وبعد قليل من الوقت خرج، واستغل انشغالهن في الكلام، فوقف قبالتهن، فرأى أيام في زينتها وهو مقصده، فظل يلحظها وهو

واقف، ومرت دقائق قليلة وهو ينظر
إليها إلا أن أيام انتبهت له، فأدارت
بظهرها عنه وهي تخاطب العمّة
نرجس: عمّتي.. لماذا يقف هناك؟

نهضت نرجس نحوه، ونظرت إليها ناهد
نظرة عتاب، ثم قالت لها في رقة: أيام..
ما تفعلينه به حرام، هو يرضى
بشروطك، وأنت تصرين على ما أنت
عليه.. غيرك لم تجد ولو جزءاً من
شرط.

أيام: من تقصدين بمن لم تجد؟ أنت..
وأسف لذلك.

ناهد: أنا الحمد لله على وفاق واتفاق مع
خطيبي، لكن ما أعرفه وأسمع عنه
غيرك يحلمن ولو بشرط يشترطه،

وَأنتِ تَشترطين بما هو غير حاصل أو
معروف في مجتمعا.. حبه - فقط - هو
من يجعله يرضخ لشروطك، وأيضاً
يظهر عليه الطيبة والتواضع.

لا حقوق

مرّ على زواجهما الاسمي أمام الناس
ثلاثة شهور، وكل منهما لا يرى الآخر
وهما في مدينة واحدة.. ليس من بعد
مسافة أو تباعد المكان، ولكن أيام
تحتجب عنه، ولا تطيق رؤيته، فاشتاق
إليها، وطلب رؤيتها بحجة إعطائها
مبلغاً من المال (مصرفها)، فرفضت
أيام، ولم تستطع نرجس إقناعها.
أخرجت نرجس أن تصارحه في ذلك وقد
سئم الانتظار وهو يجلس في صالة
المنزل، فنهض واقفاً أمام نرجس التي
لم تستطع أن تتكلم وتبوح له برفضها،
فدفع لها المبلغ قائلاً: أعطيتها هذا
المبلغ، وأخبريها أنه حق لها عليّ.

وعندما سلمتها المبلغ، وأخبرتها بما
قاله امتنعت من أخذه قائلة: لا آخذ منه
ريالاً.

نرجس: ولماذا يا ابنتي؟ إنه زوجك.

أيام: أنا لم أقدم له أي حق أو واجب،
فكيف يكون لي عليه حق؟ يا عمتي
اعذريني ردي إليه مبلغه؛ لا حق بيننا.

زفرت نرجس بالقول: أعرف أنك إذا
قلتِ قولاً لن ترجعي عنه.. رأسك
متيبس، ولكن لن أرد له المبلغ، وسوف
أخبر عمك بذلك.

راسل لم يقتنع برفض أيام له، بل يعيش
حلمًا جميلًا أنها ستعود له حتمًا، ولكن
عليه أن يصبر؛ فبصبره عليها ستقتنع

حتمًا، فظل كل شهر يعطي عمته
نرجس مصروفها، وهي بدورها تحتفظ
به.

وعندما أخبرت عمها عاتبها بالقول:
لماذا يا ابنتي تردي المبلغ؟.. لماذا
تقطعين رباط التواصل؟!.. لماذا تصرين
على الجفاء والتباعد؟!!

- لن آخذ منه.. أأخذ حقًا كما تقولون
وهو ليس حقًا لي؟!!

- يا ابنتي يا حبيبتي.. اعتبريها هدية،
والهدية لا ترد.

- وأنا لا أريد هدية منه.
بحدة وهو يرفع إصبع كفه: أيام اسمعي
مني.. فأنا قبل أن أكون عمك فأنا
مرشدك وأنت غير عابئة بما تفعلينه

وتقولينه.. ظننت بالحياة وقوانينها كيفما
تريدين.. أيام كما أنت تريدين غيرك
يريد أيضاً.. وكما أنت لك ذاتك وقراراتك
واختياراتك، فهو له مثل ذلك.

- أتغصبني على شيء لا أريده؟!.. كل
مكروه هو حرام.. زواجي به حرام،
ومبلغه الذي أخذه حرام، فكيف أخذه؟!!

زفر وهو يبتلع ما به من غضب، ثم
يناديها في رقة: ابنتي اتركي هذا وذاك..
هو أهداك هدية فالهدية لا ترد، وإنما
ترد بهدية أثن وأغلى. الهدية يا ابنتي
كما يخبرنا نبينا أنها تضاعف المحبة،
وتقوي الروابط.

ثم حوّل بنبرة الأمر الرقيق: أيام.. غداً
إن شاء الله تشتريين له هدية، وترسلينها
له.

صمتت أيام، وطأطأت رأسها وهي
ترفض طلبه، ولكنها لم تستطع أن ترده،
فقال عمها أمراً لها: أيام غداً تشتريين
الهدية، وترسلينها.. أسمعكِ ما أقوله
لك؟

اقترب منها، وبأصابع كفه يرفع وجهها
من ذقنها وهو يتأملها قائلاً: أسمعكِ يا
ابنتي التي لم أنجبها؟.. أعود غداً من
عملي أجديكِ نفدتِ ما قلته لك، وأنتِ من
تعطيها له، وسوف أخبره أن يأتي غداً
ليأخذها.. أرجوكِ يا ابنتي كوني عاقلة.

وفي اليوم الثاني استلم منها راسل
الهدية التي غلفتها له، ولكنها لم تنتظره
حتى يشكرها، فدخلت الغرفة، وتركته.
وما أن خلا بنفسه في مسكنه الذي يقيم
به مع صحبه، وفتح أغلفة الهدية
وجدها زجاجة عطر فاخرة وقميصًا
غالي الثمن والجودة، فلم يسعه المكان
بفرحته بالهدية.

والعمل

راسل لم يقتنع بفراق أيام وبعدها، بل ظل يتردد على مكان يراها فيه ولو من بعيد؛ فاتخذ من الدكان الصغير الذي هو قبالة باب بيت عمها مخبأ يرقبها منه، ولو أن المسافة بعيدة قليلاً إلا أنه يكفيه أن يراها وهي تقطع هذه المسافة حتى تدخل البيت، وظل على ذلك أياماً.

وفي يوم من الأيام رأى حاضر أخاها يعترضها ويلوي ذراعها؛ فجرى نحوهما مسرعاً، فسمعه وهو يقول لها: سوف أخبر أبي أنك تدرسين، وتسكنين بيت عمي وليس بيت زوجك.

على هذه الحال وصل راسل، وأمسكه من يده، ثم دفعه قائلاً: لا شأن لك بها..

وهي زوجتي، والإذن تأخذه مني لا منك
ولا من أبيك.. هيا اذهب من هنا ولا
دخل لك بها، وإن اعترضت لها مرة
أخرى ضربتك.

ثم دخلت هي البيت مرتبكة تخبر عمتهما
الخبر.

وفي ساعات الليل الأولى كان الخبر عند
أبيها الذي نهض بغضبه و عنفوانه
يدوي قائلاً: سأسافر إليها، وسوف
أريها، وأأدبها، وأعود بها سجيئة..
عادت للدراسة؟!.. سوف أعلمه هو -
أيضاً- كيف يكون رجلاً، وكيف يفرض
رجولته عليها.

سمعتة ليالي التي كانت تتحرك داخل
البيت لبعض حاجتها، فقالت له: ولكنها

متزوجة يا أبي.. أنسيت ذلك، وأنها في
مسؤولية زوجها؟!.. أم أنه في كلتا
الحالتين متزوجة أم غير متزوجة تأخذ
الإذن منك؟!!

ثار لقولها، ولم يجد إلا قنينة ماء أمامه،
فرماها بها وهو يقول: اسكتي.. لا أريد
سماع صوتك.

لكن القنينة أخطأتها وارتطمت بالجدار.

وما إن قرر ليلاً السفر إلى المدينة في
الصباح، حتى اتصلت ليالي من بيت
خالها بتلفونه الثابت تخبرها أن أباهما في
طريقه إليهما صباحاً، وأخبرتها أيام بما
كان من أمر حاضر معها، وأنه هو من

أخبره، فقالت لها ليالي: تصرفا معًا
لتكذبا حاضر.

أخبرت أيام عمته نرجس التي بدورها
قالت لها: أخبري زوجك أولاً.

فقالت لها: كيف سأخبره؟

نرجس: اتصلي به.. ستجدين رقمه
هناك على الطاولة بجانب التلفون.

نظرت نرجس إليها، وقد ظهر عليها
التردد والخجل، فقالت لها: أسرع يا
أيام.. أخبريه حتى نبحت عن حل.

وفي الصباح الباكر ذهبت أيام برفقة
عمته نرجس إلى الشقة، ووجدتا راسل
في انتظارهما، فأسرعا في تنظيف
الشقة وتجهيزها لتظهر له بأنها

مسكونة لا مقفلة، وذهب راسل لإحضار
اللازم لعمل وجبة الغداء.

وصل عبد الباقي الشقة فرحب به راسل
أشد ترحيب، أما أيام فمدت له يدها
تصافحه في فتور واضح وخالٍ من أي
ترحيب، فابتلع الأب ما رأى وهو يعلم
قدر ما سببه لها، ثم اندفع راسل في هذه
اللحظات ليفض الموفق قائلًا: كيف
عمتي أم عزم؟ وكيف ليالي وأولادها؟

أجابه بنبرة خشنة: كلهم بخير..

ويشير له بالجلوس: تفضل يا عمي كي
ترتاح أولًا.

جلس الأب وأطرق ساكنًا، وتوجهت أيام
نحو المطبخ لكي تكمل ما تبقى من
طبخ، وبعد قليل من الوقت كان راسل قد

تبعها يقف على الباب يتأملها، وعندما استدارت انتبهت له فأطرقت ساكته، ثم جلست أمام الطاولة تقطع السلطة، فلم يتحرك من مكانه، فرفعت نظرها إليه قائلة: أرجوك انتظر في الصالة حتى أناديك.

راسل: ولماذا؟

أيام: أنسيت؟.. أرجوك اذهب.

وفاء بلا مقابل

بعد نصف ساعة كان جلوسهم على
مائدة الغداء، فكان الأب وراسل يأكلان
بشهية، أما أيام فقد كانت تحرك يدها
بدون أكل، لثُري أباها أنها تأكل، فلاحظ
راسل ذلك، وأخذ يقدم الأكل أمامها
قائلًا: كلي يا أيام.

نظرت إليه، فوقعت عيناها في عينيه،
ولكنها عادت لتتنظر إلى صحنها. رأى
الأب ذلك فقال بخشونته المعتادة: كيف
هي معك؟ مطيعة أم...

قاطعه راسل بشدة: بل نعم الزوجة يا
عمي.

وهو ينظر إلى قسمات وجهه ويسأل
بريبة: أحقًا ما تقول؟

راسل: نعم.. نعم، اطمئن يا عمي.. أيام
لم تغضبني يوماً، وهي كل الحياة،
والحياة بالطبع فيها كل شيء.. الحسن
ونقيضه.

عبد الباقي: إذن هي عاصية لك.

رد عليه سريعاً: لا يا عمي.. أرجوك لا
تقل على أيام ذلك ولا تظلمها.. أيام
متربية، ومتفهمة لي جيداً وأنا كذلك،
ولا خلاف بيننا في أي شيء.

أرادت أيام النهوض؛ فهي لم تستطع
تحمل الاثنين معاً، فأرجأت إلى أن
ينهض أبوها خوفاً أن يرى عليها شيئاً.

وبعد ساعة قدمت لهما القهوة وهما
جالسان في الصالة، فأرادت بعدها

الذهاب إلى المطبخ، إلا أن راسل
استوقفها بالقول: أيام تعالي.

وقفت قائلة: ماذا تريد؟

راسل: اقعدني.

نظرت إليه في تساؤل، ثم نطقت: ماذا
تريد؟.. إنني مشغولة في عمل المطبخ.

هزها أبوها بحدته قائلاً: اقعدني.. زوجك

قال اقعدني، زوجك طلب منك الرجوع..

هيا اجلسي، واتركي كل شيء وراءك.

قاطعه راسل: بالراحة عليها يا عمي..

تعالي يا حبيبتي اجلسي.

اقتربت أيام وجلست بجانبه على الكنبه

الطويلة، فنهض راسل قائلاً: انتظراني

سأعود.

ذهب وبعد لحظات وهما صامتان وصل،
ووقف بينهما، وفتح صندوقًا صغيرًا، ثم
أخرج منه عقدًا كبيرًا من الذهب بنوعيه
الأحمر والأبيض، فيطوق عنق أيام به
وهي صامته، ثم يلبسها خاتمًا، وبعدها
يأخذ الحلقتين من الصندوق الذي وضعه
على الطاولة، فيدفع بالحلقتين لها قائلاً:
مبروك يا حبيبتي.

نظر الأب للعقد نظرة تساؤل، واكتفت
أيام بالصمت دون أن تنبس بكلمة خوفًا
من أبيها، فقال الأب: أراه كبير الشكل
على صدرها وجميلاً.. كيف؟.. أهو غالي
الثمن؟

راسل: لا يغلا على أيام.. أيام هي أغلى
من الذهب، وأغلى من كل غالٍ في
الحياة.

أما أيام فظلت صامته مقيدة عاجزة أن
تخلع ما عليها، وقد شعرت بثقله على
صدرها ونفسها، فضغطت على أعصابها
تنظر، فقال الأب: كم قيمته؟

راسل: قيمته تقريبًا مليون وقليل، كان
لي دين على صاحبي، ولم يقدر على
سداده، فسافر للعمل في الخارج، بعد
ذلك ولأنني لم أطلبه بديني عليه، وبعد
أن فتح الله عليه أعطاني العقد هذا
بديني، وبمناسبة زواجي بقيّة ثمنه
أعطاني إياه هدية الزواج.

عبد الباقي: بمليون ويزيد على
المليون؟!.

ضحك راسل قائلاً: نعم يا عمي.

ثم أخرج راسل الورقة من جيبه قائلاً
لأيام: هذه الورقة تثبت أن العقد لك
وباسمك.

دفع لها الورقة بالقول: مبروك يا
حبيبتي.

تجمدت أيام، وامتنعت أن تأخذ الورقة،
ثم نظرت إلى أبيها؛ فرأت نظرتة الحادة،
فمدت يدها، وأخذت الورقة والحلقتين،
وخلعت الخاتم، ووضعت كل شيء في
الصندوق، وأقفلته، ونهضت مستأذنة.

وفي الليل وهما في غرفة النوم وضعت
الصندوق بين يديه وهو جالس على
مقعد، وقالت: خذ.. هذا حقك.

استاء لذلك وقال بنبرة موجوعة: لماذا
يا أيام؟.. إنه لك.

بتأثر: أرجوك خذه.. أنا لا أريد منك
شيئاً.

- بل هو والله لك، ولن يرجع.

- لا.. لن آخذه، لا أظلمك، ولا أظلم
نفسي.

- ولماذا يا أيام؟

- بانديفاع: ولماذا أنت تعمل معي كل
هذا؟

- بتهد حزين ونبرة عاتبة: لأنني أحبك..

- تقاطعه: وأنا لا أحبك.. ولا أريدك
فكيف آخذه منك؟

اعتصر الألم في قلبه بما سمعه، ونهض
بصندوقه، وأدخله الدولاب، ثم قال بنبرة
رقيقة حزينة وهو يقف قبالتها يتأمل
وجهها والتي تحاول أن تديره عنه:
أيام.. الهدية لا ترد، وأنا والله لن آخذها،
وهي لك خالصة من عندي، ولن أسألك
يوماً عنها.

وبعد ساعة أو تزيد رأى راسل -وهو
قاعد على مقعد قبالة السرير التي تجلس
عليها أيام- التوتر والقلق الظاهر على
وجهها وزفراتها المتتابعة، فسألها -
وهو ينظر إليها بعد صمت وتردد في
ذلك-: ما بك؟

- لا شيء.

صمت إلا أنه سمع زفراتها وضيقها
الظاهر، فلم يستطع الصبر فقال: ما بك؟
لم ترد عليه، ثم نهضت وتوجهت نحو
المطبخ تنظر وتفتش في دواليبه،
ووقفت في ضيق، ثم رجعت إلى غرفتها
فجلست على سريرها وراسل ينظر إليها
وهي أكثر قلقًا وتوترًا.

لم يسألها بل تمدد على فراشه الموضوع
على الأرض، فازدادت في قلقها؛ لأنه
سوف ينام، ويتركها وهي لم تخبره بما
تريد، فقالت في هدوء: تريد أن تنام؟
نهض جالسًا: أتريدني مني شيئًا؟

صمتت مقيدة بخجلها، فنظر إليها قائلاً:
أيام.. تريدين مني شيئاً؟.. تكلمي،
أرجوكِ تكلمي قبل أن يتأخر الليل.

وبعد لحظات من التردد قالت: بعد غدٍ
معي اختبار شهري، وأنت تعلم أنني
مقيدة هنا من الخروج، والكتب في بيت
عمي.

نظر إليها في تبسم عاتب: هذا فقط كل
الذي أشغلك وأقلقك؟.. تكلمي من
لحظتها قبل أن تتعبى نفسك بالتوتر؟.
وأخذ ينهض، ويقول لها: من عيوني.

نهض متوجهًا نحو الدولاب يغير ثيابه،
وأدارت هي ظهرها عنه، وعندما أراد
الخروج رأى تردها وكأنها تريد شيئاً

آخر، فنظر إليها قائلاً: أتريدين غير ذلك؟

في حياء وخجل: أريد دقيقاً.. أبي لا يأكل خبز الأسواق.

- أتريدينه الآن؟

- نعم الآن؛ كي أعمل له في الصباح خبز الإفطار.

- من عيوني.. أتأمرين بشيء غيره؟

هزت رأسها في حياء بلا.. ثم نكست رأسها.

وبعد لحظات وقبل أن يخرج هتفت له: لا تنس الكتب، ولا تنس أن تخفيها من أبي.

رد عليها وهو يشير إلى عينيه بإصبعه: من عيوني.

ومرت أكثر من ساعة عليه وهو لم يعد،
فأخذت وقوفًا وقيامًا وهي تنظر إلى
الساعة في قلق، ثم سمعت خطى أقدام،
فتوجهت نحو باب الغرفة لتري، لكنها
سمعت أباهما وهو يتحنح، فرجعت إلى
مكانها.

وبعد مرور نصف ساعة كانت في غرفة
الصالون تنتظر، فخرج أبوها نحو
الحمام، ورآها فسألها: لماذا أنت هنا؟
وما أن ردت عليه حتى فُتح باب البيت،
فطل عليهما راسل، فهتفت: هاهو قد
عاد.

دخل وهو يحمل على كتفه نصف كيس
كبير من الدقيق، فتوجهت نحوه قائلة:
لماذا تأخرت؟.. أشغلتني عليك.

ثم خجلت لما قالت؛ فهي لم تكن تقصده،
أما هو فانتشرت الأسارير في داخله بما
سمعه، فتبسم قائلاً: أحقاً..؟

إلا أنه تذكر وقوف أبيها بينهما فقال:
زحام في الطريق.

ثم توجه بما يحمله إلى المطبخ وهي
خلفه حتى وصل المطبخ، فهمست له:
الحاجة التي أوصيتك عليها.

أجابها في خفض صوت: لا تخافي.

ثم وضع الكيس على الأرض وأخذ
يخرجهم لها وهو ينفذ عنهم الدقيق،
فدنت، ثم جلست بجانبه وهي تلتفت نحو
الباب.

أما الأب فقد كان واقفاً وسط الصالة
ينظر إليهما، ورآه وهو يسلمها شيئاً،

لكنه لم يستبته جيداً، ثم خرجا معاً نحو
غرفتهما، ورأى شيئاً تغطيه بغطاة
قماش، وبعد لحظات توجه الأب نحو
المطبخ، فنظر إلى كيس الدقيق
المفتوح، فقد شغلا معاً أن يغطياه، فدنا
نحو الكيس، وسحب خرقة موضوعة
على معلق المطبخ، وأراد ربط الكيس
بها، ولكنه فوجئ بشيء داخل الكيس.

لم تجد أيام الكتاب الذي في حاجته،
فراها راسل تكرر تقليب الكتب في تبرم
وتغير، فقال لها: ما بك؟.. هل الكتب
ناقصة؟

زفرت وسكتت، فقال: إن كانت ناقصة
قولي كي أذهب وآتي بما تبقى.

نظرت إليه وهي تقول: وتريد ساعة
ونصف أخرى حتى تعود؟

نهض قائلاً: تأخري كان سببه أنني
ذهبت لدكان بعيد للتجزئة كي يبيعي
نصف كيس من الدقيق.

- ولماذا نصف كيس؟.. إن أبي غداً أو
بعده سيسافر، ماذا سنعمل بكل الدقيق؟

- أعرف ذلك، ولكن حتى يتسنى لي
إخفاء الكتب فيه.

- والآن.. أتعبت نفسك دون فائدة.

- من أجلك يهون التعب.. والآن أرجع؟

- لا..

- والاختبار؟

- اترك الاختبار إلى يوم غدٍ لعلني
أتصرف.

وهنا تذكر راسل أنه ترك كيس الدقيق مفتوحًا، فقال وهو يهيم بالخروج: لقد نسيت الكيس مفتوحًا.

دخل المطبخ ليربط الكيس لكنه فوجئ بالكتاب بين الدقيق ظاهرة حافته.

دخل عليها مستبشراً بالقول: ها هو الكتاب.. يظهر أنني لم أتأكد من إخراجهِ من بين الدقيق.

قالت له في ارتياح وتبسم: شكرًا لك.

ومرت الساعة والساعتان وأيام تذاكر وهي مستوية على سريرها وظهرها إلى أعلى السرير، ثم غفا راسل وهو ينظر إليها ويرقبها، فتعبت هي، ونزلت برأسها على مخدتين تكمل مذاكرتها، وبعد قليل من الوقت أفاق من إغفائه،

فوجدتها ما زالت تذاكر، فرق لها، وطار
النوم من عينيها، فتوجه نحو المطبخ،
وشرب ماء، ثم رجع فراها قد وضعت
الكتاب على صدرها، وقد غلبها النوم،
فوقف أمامها، ثم أخذ الكتاب في هدوء
من فوق صدرها، وسحب الحفاف،
وفرشه على نصف جسمها، فشعرت هي
بذلك، وفتحت عينيها بتثاقل، ورأت ذلك،
ولكنها نامت.

وفي الصباح هبت لعمل طعام الإفطار، لا
بد من عمل العجين أولاً، فأسرعت نحو
المطبخ، وفوجئت بالعجين جاهزاً
وموضوعاً في إنائه، ومغطى فوق
الطاولة.

وقفت وكشفت عليه، فقالت في نفسها:
ما الذي عمله معي يا ابن عبد البر؟ وما
الذي تريده؟

وهنا دخل عليها وهو يحمل أكياساً في
يديه قائلاً: أتيتك بخضروات وأشياء
أخرى تحتاجينها للإفطار.

نظرت إليه في عتاب موجه: لماذا عملت
العجين؟.. لماذا لم تنتظر حتى أفيق؟

صمت قليلاً ثم أجاب: أنتِ بالأمس نمتِ
متأخرة؛ ولهذا لم تفيقي مبكرة، فشق
علي أن أيقظك من نومك، ولو كنتِ
تأخرت قليلاً في النوم لعملت لك الخبز.

نظرت إليه نظرة تساؤل لكنه بادرها في
الإجابة قائلاً: إنني ماهر في عمل
الطباخة والخبز.

سألته باستغراب: أكنت طباخًا وخبازًا
من قبل؟

راسل: الأسفار والاختراب تجعلك أكثر
اعتمادًا على نفسك في كل الأمور، فلا
غربة أن تكون طباخًا أو خبازًا.

مرت عدة أشهر وراسل مكتفٍ برويتها
من أمام الدكان حتى تدخل البيت، وفي
يوم استبطأ عودتها إلى بعد العصر،
فانتظر على جمراته إلى بعد المغرب،
فتوجه نحو عمته نرجس يسألها،
فأجابته بالقول: إن الدكتور شمس
شغلها معها في عيادتها.

- أهي بحاجة للعمل؟

صممت نرجس، فكرر: أهى تحتاج
للمال؟ أنا أبعث لها كل شهر
بمصرفها.. عمتي نرجس، اصدقيني
القول.. أهى ترفض أخذ ما أرسله لها
كل شهر؟

- يا بني.. أيام لا ترفض مالك، ولكن
ترفض أخذ مال دون وجه حق.

- ولكنني زوجها.

- يا بني اعذرنى.. زواج ولكنه واقف
النفاذ، وأنت يا بني ضع نفسك في
مكانها.. أترضى أن تأخذ شيئاً دون حق؟

- فى تالم: إنها حتى لم تخبرني.

وهنا دخلت عليهما أيام، وسمعت ما
قاله، فنظرت إليهما وهى تحييهما، ثم
استأذنت نرجس تاركة لهما المكان.

نظر إليها راسل نظرة عتاب موجعة مما
حرك في داخلها بعض الشفقة واللوم
معًا، وقال لها: لماذا؟.. أنتِ بحاجة
للمال؟.. على الأقل أخبريني.

صمتت أيام، ولم تجب، وإنما مالت عنه،
انتظرها لعلها تقول أو تجيب، ولكنها
واصلت الصمت، فزفر بحرقة وألم،
ورأى أن انتظاره لا طائل منه، فخطا
نحو الباب للخروج، فاستوقفته بقولها:
أظن وعلى حسب شروط زواجنا أن لي
الاستقلالية في كل شيء.

استدار نحوها وهو يهز رأسه في ألم
وعتاب وتذكير لها: زواجنا.. تقولين
زواجنا؟.. أنتِ تعترفين إذاً أن بيننا شيئاً
اسمه زواج؟

أيام: أمر قد حسم دون رغبة لي فيه
وكان.. ويا للأسف قدرنا.

بتساؤل حزين: والآن؟

هزت رأسها قائلة: أظن لا شيء بيننا.

ابتلع ما قالته في قلبه وكأته ناراً أحرقت
داخله، فانسحب، وتركها.

تأثرت نرجس بما كان من أيام، وقد
سمعت كلامهما، فعاتبتهما قائلة: أيام
ابنتي وحبيبتي.. إنك بقسوتك وإصرارك
على ما هو في رأسك نحوه قد يجر بكما
إلى ما ستدفعين ثمنه أنتِ أولاً، وقد
تتدمين على ما تفعلينه فيه، ويكون -
والله أعلم- في وقت لا ينفع فيه ندم.

الوصية

وفي اليوم الثاني عرف العم فائق من زوجته ما حصل، فدخل عليها غرفتها، ووقف أمامها يرميها بنظراته التي يملؤها اللوم والتأيب والتحذير.

وقفت له وقد أوجعها بنظراته، وفهمت مغزاها، ولو كانت تقدر على أن تدير وجهها عنه لفعلت، ولكنها نكست رأسها حياءً وخجلاً، فقال: أيام للمرة الأخيرة أقول لك وأوصيك في زوجك.. أيام لا تنسي أنه زوجك وأنت هنا في المدينة تدرسين وتتعلمين بحرية واستقلالية بفضله وبغطاء زواجه المعلق، ولا تنسي في الماضي القريب فقط ماذا عمل معك أمام أبيك.. إنه شكر لك وأنت ناكرة

له وكارهة، وذكر له أنك نعمة، وأنت
وللأسف حصرته وسط نقمة.. تحاسبينه
على ذنب ليس ذنبه، وتعاقبينه على
جرم غيره.. أيام (ولا يجرمنكم شنآن
قومٍ على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب
للتقوى) هذا الأمر الإلهي أن تعدل مع
من ظلمك أو سبب لك ضررًا، أو أساء
إليك.. فكيف بمن يقدم لنا عكس ذلك؟
أيام.. إن الله يأمر بالعدل والإحسان
وإيتاء حق القريب.

وهو يقترب منها، ثم يرفع وجهها بكفه
يتطلع فيه قائلاً: ابنتي اصدقيني القول
هل قلبك معلق بأحدٍ غيره؟

هزت رأسها بلا ثم قالت: والله يا عمي
ليس في قلبي غير دراستي.

عمها: إذا الدراسة هي كل شيء لك؟

هزت رأسها بنعم، فقال: اعلمي يا ابنتي
أن زوجك هو جسر الأمان الذي
ستصلين به إلى مبتغاك وتحقيق حلمك..
لا يمكن لامرأة أن تحقق شيئاً دون سند
تتقوى عليه، وحصن تحتمي به.. أيام
راسل يجبك فلا تخسريه وتخسري حبه؛
فقل أن تجدي رجلاً محباً وفيّاً، فما ينفع
العيش دون أمان، فالرجل المحب الوفي
هو أمان المرأة، ولا توجد امرأة في
الكون تستطيع العيش دون أمان.

رفع العم كفه عنها، ونكست هي رأسها
فناداها: أيام..

رفعت وجهها إليه فقال وهو ينظر
بنظراته العاتبة الراجية: أيام تحبينني؟

زفرت أيام زفرة لم تجد من إجابة لوجع
السؤال، وثقل الرد الذي تعلق في حلقها،
واستولت الآلام عليها، واندفعت العاطفة
الحانية الشاكية حرمانها، فاندفعت في
حضنه باكية.

مسح على رأسها وهو يضمها في حنان
حتى هدأت لوعتها، وسكن نسيجها، ثم
قربها إلى وجهه ينظر إلى عينيها
الجميلتين، وقد ملأتهما الدموع، فقال:
وصيتي لك يا ابنتي واجعلها باقية فيك،
ولعل الله لن يكتب لي من وصية في
المستقبل أوصيك بالألّا تقسي على
راسل.. راسل يحبك فبادليه الحب ولو
تصنعا عنها ستجدين الحب لا محالة
(إن لم تجدوا الحب فتحاببوا).

ثم قبّلها على جبهتها وهو يقول: هيا يا
ابنتي.. اعتذري له.

- لا أقدر يا عمي.

وهو يرفع خصالتها التي تدلت على
جبهتها: لا يا أيام.. ليست أيام ابنتي من
تقول ذلك، ابنتي التي تربت أمام عيني
عهدتها قوية، واثقة بنفسها.

هزت رأسها وهي تجفف دمعها: حاضر
يا عمي.. سأدعوه للغداء غدًا الجمعة.

- لا يا ابنتي.. أولاً اتصلي به لكي
تعذري له، ثم ادعيه للغداء.

- من عيوني يا عمي.

قبّلها مرة أخرى وهو فرح بها: الله يفتح
عليكما، ويسعدكما يا ابنتي.

- لأجل خاطر عيونك يا عمي.

- لا.. ليس لأجل خاطر عيوني أريد،
وإنما أريد منك الاقتناع والإيمان بما
ستفعلينه.. ابنتي الاقتناع باسمه الصغير
وذاته الكبير، والذي إذا ملأ داخلنا قلباً
وعقلاً هو عندها من يعطينا قوة التصبر
وحب الاستمرارية.. أيام إذا رسخت
قناعاتنا في داخلنا بشيء فلا تنازل عنه
ولا رضا بغيره مهما يكن الثمن مهما
تكن القوة ضده.. ابنتي الزوج الباقي
عليك استبقيه ولا تفرطي فيه؛ فخسارته
لا تعوض، وراسل نعمة مرسله لك؛ فلا
تضيعيه لأجل فكر أو أفكار.
قاطعه في هدوء: بل هدف وحلم
عمرى.

- وما يدريك؟.. لعله هو معينك وسندك،

أو هو جزء من ذاك الحلم والهدف.

ثم حوّل عاتبًا: وأنتِ كيف تشغلين دون

أن تخبريني إن لم يكن تستأذنيني؟

- لو أخبرتك فسترفض بالطبع، قالتها

وهي مطأئنة رأسها.

- نعم.. سوف أرفض طبعًا، أمنعك،

وكيف تشغلين؟.. أنتِ تطلبين المال

وأنتِ عندي.. هل أنا مقصر معكِ؟

- لا يا عمي.. بل نعم المعطي، ولكن

رضا النفس وراحتها في انطلاقها مع

اكتفاء ذاتها واعتمادها على نفسها.

مرت فترة ليست بالكثيرة على عمل أيام

في عيادة الدكتور شمس، واستطاعت

في هذه الفترة الوجيهة بفضل فطنتها
وذكائها أن تتعلم الكثير من المهارة في
مبادئ الصحة والتمريض وضرب الإبر
والعمل ببعض الأجهزة، وواصلت على
ذلك وهي تتحدى كل صعب يواجهها، ثم
بعد ذلك تتفوق عليه، حتى أن الدكتورة
سُرتّ منها، وقالت لها يوماً: رائع جداً
منكِ يا أيام.. لو كنتِ في المستقبل
تدرسين الطب.

- الطب يا دكتورة لا أفكر فيه.

- لماذا؟ أليست هي مهنة إنسانية؟

- طبعاً هي مهنة إنسانية، ولكن ليست

في تفكيري وهدفي.

- في ماذا تفكرين إذاً؟

- أريد مهنة إنسانية ولكن من نوع
آخر.. أريد أن أدافع عن حقوق الناس،
وأتوسع كثيرًا في حق المرأة أولاً.

ضحكت الدكتورة وهي سعيدة بها:
تريدين دكتورة من نوع آخر؟

- نعم دكتورة.. أجبر كسر المأخوذ حقه،
وأقف معه ضد السالب له، وأعيد
للمظلوم حقه خاصةً حق المرأة
المسلوب.

تأثرت الدكتورة بكلامها، فقالت بعد
زفرة: لا تحملي ترسبات الماضي يا أيام
وأوجاعه ليدفُعك نحو طرق قد تُردي
بك، وقد ملئت الدنيا بالوحل والحفر
المظلمة.

- لا يا دكتورة شمس.. هذا مسار
وهدف وحلم عمري.. سوف أسعى ما
حييت للوصول إليه وتحقيقه.

صمتت الدكتورة، ثم قالت في هدوء
عائب: وزوجك يا أيام؟ أليس من ضمن
الدارجين في قائمة الحقوق، أم ليس له
حق؟

أطرقت أيام برأسها، وواصلت شمس:
يا ابنتي ويا أختي.. (أأمرون الناس
بالبر وتنسون أنفسكم).. يا ابنتي إن
قررتِ خوض الحقوق فلا تتركي لأحد
حقاً له عندك حتى تكوني أكثر صراحةً
ووثوقاً في نفسك.. وأيضاً لا يقدر أحد
أن يفغر فاه فيك ولو بكلمة لينال منك

ومن نجاحك، ويشكك في نواياك
وتوجهاتك.

أطرقت أيام برأسها، وتأثرت بما قالتها،
حتى ثقلت يدها عما كانت مشغولة به.

فواصلت الدكتوراة برقة: أنا يا أيام لك
الأخت الكبرى عمراً، والمجربة للحياة
قبلك.. فالحياة يا أختي تعطي ولكنها
تطلب أكثر مما تعطي، وفي الحياة أشياء
اسمها مسلمات، ولا بد أن تسلمي لها،
وترضي بها، وزواجك واحدة من تلك
المسلمات، وقد انعقد، فلا بد وأن
ترضي.. ومهما قلت أنك لا تريدين
زواجاً فالمرأة هي من تقول لك -وأنا
واحدة منهن- أن المرأة مهما علت،
وتربعت إلا أنها تحتاج إلى رجل، وإن لم

تحتج إليه في شيء كما تقولين أنتِ فلا
بد أن تحتاج إليه في كل شيء كما قضت
به سنة الحياة وقانون الله في خلقه..
أختي كلمة صغيرة مثل زوجي أو
زوجتي، ولكنها كبيرة في قاموس
الحياة، ولأنها من ذاك الشيء كانت، فلا
بد أن تكون في أشد الحاجة إليه.

لأجلك

وفي مساء نفس اليوم سمع كل من في
العيادة من الطاقم الطبي النسائي طلقات
الرصاص الكثيرة، فهرع كل من في
العيادة بالهرب، وظل الطاقم المعالج،
فأسرع نحو الدكتورة التي طلبت منهن
الهدوء والسكينة، ثم أجرت الدكتورة
اتصالاتها، وأخبرت عن ما عرفت أن
مجموعة من اللصوص أرادت سرقة
بعض المحلات المقابلة للعيادة من
الجانب الآخر للشارع.

نظرت نرجس في ساعة الجدار فإذا هي
العاشرة والنصف ليلاً، فهتفت في

نفسها: أيام لم تعد إلى الآن.. ماذا
أعمل؟

ثم نهضت من مكانها، واتصلت بتلفون
العيادة، فردت عليها أيام: الشارع يشهد
صدامًا ومواجهة بين الشرطة ومجموعة
لصوص تختبئ بين البيوت، فصعب
علينا الخروج من العيادة.

- والعمل يا ابنتي؟

- لا أعلم.

- انتبهي لنفسك.

- لا تخافي.. طاقم العيادة كلهن يختبئن

حتى تنتهي المواجهات.

- كيف العمل وعمك غير موجود، وأنا لا

أستطيع الصبر، وحياتك في خطر؟

- لا تخافي إن تأخرت أكثر؛ فسوف
نضطر للمبيت في العيادة.

لم تجد نرجس مخرجًا، وقد ملأ الخوف
قلبها، وساورتها الشكوك في نجاتها،
فاتصلت براسل الذي بدوره خرج
مسرعًا من بين أصحابه وهم جلوس
حتى أنه نسي أن يلبس حذاءه، وأسرع
بسيارته.

وما هي إلا أقل من نصف ساعة حتى
وصل إلى الشارع الذي تدور به
المواجهات، فنزل من سيارته، ثم توجه
في لهفة وعجل نحو باب العيادة، ولم
يرده في ذلك تحذير وصياح عناصر من
الشرطة فيه.. بل من خلف ظهورهم
دخل إلى بوابة المبنى التي بها العيادة.

طرق باب العيادة بقوة فهرعن نحو
الباب ليرين من هو الطارق، فقالت أيام:
من؟

راسل: أنا راسل..

فتحت له في عجل فدخل، فرأينه جميعًا،
فنظرت له الدكتورة، وانسحبت الباقيات،
وظلت الدكتورة ترمي أيام بسهام
نظراتها العاتبة الموجهة، ثم زفرت
وقالت وهي تهم لتركهما: يا أيام..
أدخليه الغرفة ليهدأ.

فتوجهت أيام للغرفة وهي تقول: تعال..

تمدد على السرير ثم مدت له كوب ماء
قائلة: من الذي أخبرك؟

- عمتي نرجس..

- الله يسامحك يا عمة نرجس.

- أتريدني مني أن أنتظر حتى تعودني؟

- نعم..

- مسـتحـيل أنتظر حتى تعودي،

والرصاص حول العيادة.

- ولو كنت وقد ر الله أصبت برصاصة..

أست قد دفعت بنفسك إلى الهلاك وأنا

هنا محصنة؟

- لأجلك أموت وتهون نفسي.

وهنا سمعت إحدى موظفات العيادة التي

أرسلتها الدكتوراة تطلبها، صممت أيام

قليلًا، ثم نهضت متوجهة إليها وهي

تقول له: انتظر حتى أرجع.

وفي طريقها الذي قطعه نحو الغرفة

أخذت تتساءل: هل تريدني الدكتوراة

لأجل شيء حقًا؟ أم لأجل أن تحاسبني
عليه؟

وقفت أمامها فقالت لها الدكتورة:
اجلسي يا أيام.

صمتت، ثم قالت وكفيها أمامها: ألا
يكفيك هذا؟

أيام: ماذا تعنين؟

الدكتورة شموس: رأيت.. كل أزواجنا
لم يأتوا إلينا، وحياتنا في خطر..
ينتظرون حتى تسكت الرصاص،
وزوجك الذي لست مقرة بزواجك منه
يأتي يخوض وسط الرصاص حافي
القدمين.. رأيتَه أم ستقولين أنك لم
تنظري إلى قدميه؟

أطرقت أيام رأسها، ونادتها شمس:
أيام.. كوني عاقلة فاهمة متعلمة، اعلمي
بعلمك وشهادتك ممارسة لا أن تعلقها
على الجدران.. ما أنت فيه تتمناه آلاف
النساء.. رأيت ولمست ما فعله وخاصة
لأجلك.

مرت ساعة، وسكت صوت الرصاص،
وسُمح لهن مغادرة العيادة، فقالت
الدكتورة لهن: هيا لنخرج جميعًا، وأيام
وزوجها سيغلقان العيادة.

وبعد لحظات انصرفن، فحملت أيام
المفاتيح، وتوجهت نحوه، ومن على
الباب تناديه: هيا لنذهب.

لكنه ظل شاردًا ولم يجيبها، فقالت له:
هيا..

وقف ولكنه لم يتحرك، فرجعت إليه
وبإصبعها ضربت غضروف أنفه قائلة
وهي ترمش له بعينيها: هيا..

ثم استدارت أمامه، أما هو فظل واقفاً
يتمنى لو يستطيع أن يقبل موضع
إصبعها على أنفه، بل ظل يتحسسها،
ويقبل يده.

التفتت إليه، فرأت ذلك، فابتسمت،
وسحبته من يده: هيا يا كسلان..

أخذ كفها، وشبك إصبعه في إصبعها إلا
أنها انتبهت لذلك خجلاً، فسحبت يدها،
وقالت وهي مرتبكة تدفع له بالمفاتيح:
هذه المفاتيح.. أغلق باب العيادة من
الخارج، وأنا سأنتظر عند باب السيارة.

صاح فيها حتى أفرعها: لا لا.. انتظري
أرجوكِ ربما يكون هناك عناصر مجرمة
ما زالت مختبئة فتؤذيكِ.

صمتت، ورفعت لثام وجهها، وانتظرت،
نظرت إليه وآلام التقريع والتأيب
لنفسها تعصرها لما تراه منه وهي تأتي
العكس.

وبعد لحظات أقفل الباب، وأسدت لثامها
على وجهها، ثم أخذها من يدها.

مرت عدة أيام، وعادت أيام يومًا من
مدرستها، فوجدت أختها ليالي تبكي
ابنها ونرجس بجانبها، فذعرت أيام لذلك
وتساءلت: ما به؟

فردت عليها نرجس: إنه مريض جدًا..
به حصى يحتاج إجراء عملية سريعة
لإزالتها.

رمت أيام ما بيدها، وجلست إلى جانبه،
وأخذته إليها تقبله في حنان وعطف، ثم
نهضت نحو أختها التي تبكي، وقبلتها
تواسيها، فهتفت ليالي: والعمل يا أختي؟

فقالت لها أيام: لا تخافي.. لا بد من
إجراء العملية وبسرعة.

انفجرت الأم باكياً، ففهمت أيام أن أختها
تبكي فقرها، وأنها لا تستطيع عمل
العملية له، فتدافعت أيام وعمتها معاً في
القول لها: لا تخافي سنعمل له العملية،
وستنجح إن شاء الله.

لكن ليالي ازدادت في البكاء، فحضنتها
أختها تواسيها، وتخفف من وطأة
حزنها.

وما أن دخل الليل حتى قرر الدكتور
المعالج له سرعة إجراء العملية بعد
يومين، ولم يوافق العمّة نرجس على
تأجيل العملية بالقول: حالته تستدعي
إجراء العملية بسرعة وعدم تأخيرها
ولو ليوم آخر.

فقالت أيام لعمتها نرجس وهما جالستان
في البيت: كيف العمل وعمي غير
موجود في المدينة، وقد تطول غيبته
كثيراً؟

نرجس: الله أعلم متى يعود.

أيام: لا تخافي من أمر الفلوس.

نرجس: لا.. ما أقصده أنه لو كان
بجانبا فقط.

وفي اليوم الثاني وضعت أيام أمام
صديقتها ناهد على مكتبها صندوقاً
صغيراً بالقول: ناهد.. أريد منك مائتي
ألف دينار، واجعلي المبلغ رهنه هذا
الصندوق.

استغربت ناهد؛ فلأول مرة أيام تطلبها
شيئاً، فقالت لها: ما هذا يا أيام؟..
أطلبك رهناً؟.. خذي صندوقك، وعيب
أن تقولي لي هذا.

- لا.. لن آخذ المبلغ إلا إذا أخذت الرهن.

- لا.. لن آخذه، وسأعطيكَ المبلغ.

- وهي تهم بالقيام: لا.. لن آخذ منك إلا
إذا أخذت الرهن.

- اجلسي.. اجلسي أولاً.. ما بك يا أيام؟!
ما هذه الحماسة؟!!

- كما تريدن تسميتها فلتكن، ولكنني لن
أخذ المبلغ إلا بالرهن.

- حسناً سوف أعطيك ولكن بشرط..

- ما هو؟

- أن تتعهد لي أنك إن احتجت إلي
الصندوق يوماً تأخذه في أي وقت، ولا
تضعي في حسابك أن الصندوق
مرهون، بل موضوع أمانة عندي.

- قبلت.. والمبلغ؟

- بعد ساعة سأتي به من البنك.

- ولكنني سأذهب.

- سأتي لك به إلى البيت في المساء.

هممت واقفة ثم زفرت واقتربت منها
تقبلها شاكرة، فابتسمت لها قائلة: لو لم
تكوني يا أيام عصبية وصعبة في التفهم
لكنت ملاكًا طاهرًا.

رجعت أيام إلى البيت فنادتها عمته في
خلوة بها في المطبخ، وقالت لها بنبرة
عاتبة: لماذا يا أيام؟

- ماذا يا عمتي؟ ماذا حصل؟

- لماذا رهنيت العقد؟

- من أين عرفت؟

- رأيتك وأنت تخرجينه، وعندما أعطتني

ناهد المبلغ لم تجبني عندما سألتها هل

رهنيت عندك أيام العقد؟.. لماذا يا أيام

تستخفين بهدايا راسل؟! لماذا تحسبينه
دائماً أنه لا شيء؟!!

- عمتي.. لماذا تضخمين الأمور
وتكبرينها، المبلغ سوف يُسلم، والعقد
سوف يعود بعد ذلك.

- ولكنني دبرت المبلغ.

- من أين؟

- لا شأن لك.

- الأولى أن يكون ثمن علاج ابن أختي
من مال بني عبد البر.

- ولكنه مال زوجك، ويجب عليك الحفاظ
على ماله.

- لا مال له عندي، وكله ملك ابني أختي.

- حرام يا أيام تظلمين نفسك، وتظلمينه
معك.. يكفي ما به وما تسببينه له من

متاعب، الكلمة من فمك يتمناها فلا
تزيدي في أوجاعه.

- عمتي أرجوك.. كل ما يهمني الآن ابن
أختي وإجراء العملية له.

- إن شاء الله..

- لو كان عمي بجانبنا لهانت مصاعبنا.

- ولكن عمه راسل بجانبنا.

وهنا ثارت أيام، واحمر وجهها وهي
تقول: لا نريده.. لا نريد بني عبد البر..

أليس هم السبب في نكباتنا؟!!

الابن يموت أو تُعمل له عملية، وأبوه
غير موجود،.. أليس أبوه هو ابن عبد
البر؟!!

وهذا الذي توجعون قلبي به أليس هو
أخوه؟!.. قولي لي يا عمّة في أي جهة

وفي أي مكان وفي أي وادٍ هائم هذا
الذي تقولون عنه أبوه؟.. إنه بالتأكيد
يتسكع وغير مقر ولا معترف بأبوة.

- ولكن يا ابنتي ما ذنب راسل؟

- ذنبه أنه أخوه.

- نعم أخوه وليس هو.

- بل كلهم على شاكلة واحدة.

بكت أيام ابن أختها الذي كان بين يديها
بكاءً مريراً، وقد كانت بمفردها في البيت
تنتظر عودة ليالي وعمتها نرجس اللتين
ذهبتا للعيادة لأجل موعد إجراء العملية.

طُرق الباب فذهبت لفتحه وهي تجفف
دمعها بكفها حاملة ابن أختها في يدها
وهو يبكي، فإذا به راسل، وما إن أطل

عليها حتى احمر وجهها، وامتقع لونها،

فاستقبلته بحدة: ماذا تريد؟

- أريد رؤية مجد.

- أبوه يرميه ولا يسأل عنه، وأنت وبكل

أساليب المكر والتمثيل تأتي كي توهمنا

أن قلبك عليه.

- أتيت لأجله عندما علمت، ويكفي أنك

رفضت حتى إعلامي بالخبر.

- وأنا لا أريد إخبارك ولا أريد رؤيتك..

هيا عد من حيث أتيت.. هيا تفضل أريد

قفل الباب.

لم يحتمل راسل هول ما سمع وكاد أن

ينفجر إلا أنه استقوى على ذلك،

واستدار ذاهباً، ولكنه صادف ليالي

ونرجس خارج الباب، فقالت نرجس له:

راسل.. تفضل يا راسل.

ليالي: راسل.. مجد يسأل عنك.

وهو منكس الرأس: لقد رأيته وغداً

سألقاكم في العيادة.

ثم توجه وتركهما.

تأثرت ليالي جراء ما رأت على وجه

راسل والذي يخفيه عنهما، فعاتبته

أختها: أيام.. لماذا تظلمين راسل؟!..

لماذا تحملينه وزر أخيه؟!!

جلست أيام على المقعد ومجد أمامها،

ولم تعبأ بكلام أختها، واكتفت بالصمت،

فواصلت ليالي: أيام.. قلت لك ألف مرة

راسل غير ساهل، إنك بهذا العمل

تضعين نفسك وحياتك وسط نار أنت من

أشعلت فتيلها.. راسل يحبك، وفيه
الخصال والصفات الشهمة، وهذا ما
جعله متمسكا بك وأنت غير راضية به..
يا أختي راسل تتمناه ألف فتاة..

وفي العيادة وهو اليوم الثالث والكل
ينتظر انتهاء العملية، راسل واقف
ومسند كتفه بالجدار ينتظر، وأيام جالسة
على كنبه مطرقة، والأم على كنبه تبكي
وتدعو الله، والعممة نرجس بجانبها
تهون عليها، وممرت ساعتان، وخرج
الدكتور فجأة، فنهضوا جميعًا بالسؤال،
فبادرهم ببسمة: مبروك العملية نجحت..

لم تتمالك الأم نفسها من الفرح، وأخذت
بكفيها إلى السماء، ووجهها ممتلئ
بالدموع: الحمد لك يا رب..

ثم تهنئها نرجس، وتقبلها، وتتقدم منها
أيام، وتجفف دموعها بالقول: مبروك يا
حبيبتي.

ثم تقبلها وتقول: الله يطمئن قلبك يا
أختي.

وبعد ذلك وهي تريد الجلوس وقعت
عيناها على عيني من ينظر إليها،
ويرقب خطواتها، فرمشت بعينيها مائلة
عنه، ثم جلست.

وبعد مرور ثلاثة أيام كان راسل في
زيارة ليالي للاطمئنان على مجد، ولكن
في غيبة أيام من البيت، فودع ابن أخيه،

وقبله، ثم ودع ليالي وعمته نرجس التي
أوصاها بأيام، وأخبرها قائلًا: سوف
أرسل لك بمصروف أيام حوالات بريدية.
نرجس: حاضر يا بني.

وأثناء خروجه من البيت صادف أيام
عند الباب مما جعلهما يتسمران وقوفًا،
وظلا شاخصي النظرات كل في عيني
الآخر، والقلبان يرجفان، وبعد قليل من
الوقت انتبهت لذلك، وانسحبت في
هدوء، فدخلت بعدها البيت إلا أنها
فوجئت بقول عمته لها: هل صادفتِ
راسل؟ هل ودعته؟ إنه سيسافر غدًا
للعمل في الخليج.

الفاجعة

ومرت الشهور تباعاً، وأنهت أيام
اختبارات الثانوية العامة، ودخلت على
عمتها بفرحة قائلة: الحمد لله يا عمتي..
لقد أنهيت اليوم آخر مادة من اختبار
الثانوية.

نرجس: مبروك يا حبيبتي، إن شاء الله
من الأوائل.

وهي تجلس: إن شاء الله..

إلا أنه قطع ذلك رنات التلفون الذي حرم
طبلتيهما برنينه، وكان رنينه على غير
المعهود عليهما كما أحستا به ولأول
مرة، فانتشر شعور في داخلهما يملؤه
الهلع، وظهر على وجهيهما ذلك، وكل
واحدة تقول: خير إن شاء الله..

أسرعت أيام نحو التلفون ويدها ترتعد،
وكانت الجملة الأخيرة التي تلقتها من
الاتصال أن العم فائق عمل حادثًا، ونُقل
إلى المستشفى إلا أنه فارق الحياة.

فصاحت أيام بذعر، ورمت السماعة من
يدها: عمي.. حبيبي يا عمي.

سألها في ذعر: ماذا حصل؟

أيام: عمي عمل حادثًا.. عمي مات.

فصاحت نرجس صيحة مدوية، وأغمي
على أيام.

وفي اليوم الثالث كانت أيام تبكي في
غرفتها بشدة وحزن، وحولها صديقاتها
ناهد ومعتزة وربى ومنون بنت خالتها
وأختها ليالي، وكل واحدة تواسيها، إلا

أن حزن أيام على عمها فتت أوصالها،
وأصم أذنيها عن سماع نداءهن
ورجائهن في الكف عن البكاء.

مرّ شهر وكان لزامًا على أهل نرجس أن
يأخذوها إلى قريتها؛ فإنه لا مقام لها في
المدينة وحدها، وحن وقت من أصعب
الأوقات وأثقلها، وهما تتعانقان وتبكيان،
ثم هتفت نرجس: أيام.. عمك كان يحبك
كثيرًا فلا تنسيه من دعوتك، وأنت الآن
ابنه الصالح.

انفجرت أيام وازدادت في البكاء، وتعالى
نشيجه.

وأتى اليوم الذي تنتظره أيام، ولكنه أتى
وهي مترعة بالأحزان، مليئة بالأوجاع،
تحصرها ذكرى عمها، أما أخوها حاضر
فبعيد عن كل ذلك، فهو محصور بين
أنانيته ونميته، فما أن سمع بالخبر
وهو نجاح أيام وبمعدل عالٍ.. بل من
أوائل الجمهورية العشرة، زفّ لأبيه
الخبر، فهبّ أبوه كالمجنون لا يدري أين
وجهته، بل أخذ يضرب كل من يواجهه
في طريقه من أهل بيته، وهو خلفه حتى
صاح فيه: هي في الغرفة هذه يا أبي.

فدخل عليها كالوحش يضربها ضرباً
عنيفاً، إلا أن هول أحزانها وكثرة
أوجاعها جعلها مسالمة له، ولم تبالي
بضربه لها، بل على فراشها ممددة،

وهو يصنع فيها كما شاء، ثم أقفل عليها
الغرفة بعد ما اكتفى بضربه لها تعبًا
وجهدًا من نفسه.

ومرّ يومان وهي محبوسة في الغرفة،
وتعب الخال في إقناعه في فك قفل
الغرفة لأجل إنقاذها، فحلف الأب ألا
يفتح الباب إلا بعدما تموت.

وبعد ساعة أتاه خبر أن المُدَلَّ حاضر
عمل حادثًا؛ فقد داس بعجلته النارية
طفلة في المدينة، وهو الآن محبوس،
فسافر الأب إليه، وقد أخذ معه ما يدخره
من مال لأجل إنقاذه.

وفي الليل توجهت منون إلى أبيها تخبره
الخبر لكي ينقذ أيام من سجنها، إلا أنه
قطع ذلك الحديث رجل يناديه ويخبره أن
راسل عمل حادثاً في أقصى الشرق من
البلاد، ويقولون أنه مات، وأهله
سيتوجهون بعد ساعة من الآن لأجل هذا
الخبر.

فأسرع الخال يقول لمنون: تعالي
اتبعيني..

- خيراً يا أبي..

- راسل مات..

شهقت منون لهول ما سمعت، وقالت
وهي تلطم على خدها: يا حبيبتى يا بنت
عمتي.. من فاجعة إلى فاجعة.. كيف

سنخبرها؟ إنها الآن شبه ميتة أو قد تكون ماتت.. الله معك يا بنت عمتي.

ثم جلست تبكي، فنهرا أبوها بالقول:
ليس وقت بكاء الآن.. لا بد من إخراجها
من سجنها لكي تسافر خلف زوجها.

- ماذا تعمل وزوجها قد مات؟

- أيام لا بد وأن تعرف الخبر، إنه
زوجها، ولا بد أن تكون مع الجماعة
المسافرة إليه.

بكت منون بكاءً شديداً، وأخذت تندب
حظ أيام.

أشفق الخال لخال الاثنتين معاً، فقال
بصوت متأثر: منون ابنتي.. تمالكي
نفسك لأجل أيام حتى لا تروح فيها.

ثم زفر واستغفر الله، واسترجع، ثم قال:
ما كادت تنسى فاجعتها الأولى في عمها
حتى لاحقتها فاجعتها الثانية في زوجها.

- أبي لا تنسى أن أيام محبوسة في
غرفة ومقيدة أيضاً، والله أعلم كيف هو
حالتها، وألومك يا أبي على سكوتك جراء
ما تتعرض له.. إنها الآن ليس لها من
أحد تحتمي به إلا أنت.

- يا ابنتي فعلت ما قدرت عليه، وكدت
أن أواجهه، ولكن أرجأت ذلك لأجلها
حتى لا يتمادى عليها أكثر؛ فإنه يا ابنتي
كتلة من غضب، مجنون لا يراعي
شعورًا أو قلبًا.

- والآن هي في سجنها المقفل بابيه
بالقفل، وهو غير موجود في القرية..
كيف؟

- سنكسر القفل، وسأكسر الباب إن
اضطرتني الأمر.. لا بد أن تسافر، ماذا
سيقول علينا الناس؟! لم تحضر حتى
يوم موته؟!!

وفي غرفتها ومنون تجلس بجانب
رأسها وقد خلصوها من قيودها ترفع
لها منون رأسها بكفها قائلة: قومي يا
أيام.. قومي هيا يا حبيبتي.

أخذت جفونها تتحرك، لكنها لم تستطع
فتح عينيها، فنادتها مرة أخرى وهي
تكبت على حزنها ونشيجها: أيام.. أيام
انهضي.

فمد الخال يده، وبعد لحظات رفعا رأسها
على وسادتين إلا أن أيام لم تستطع أن
تفيق، فبكت منون، وصاح الخال: عزم
هيا لتسعتها.

وبعد مرور ساعة ونصف كان قد أجريت
لها إسعافات أولية، ومد جسمها بإبر
مقوية ومحاليل، فتمكنت أن تفيق، ثم
قال لها الخال وهو يشير لليالي بأن
تجهزها للسفر: هيا يا ابنتي.

هزت رأسها هزة ضعيفة بالاستجابة،
تظن أنه يقصد البيت.

فبادر الخال: أيام.. وجهتها سفر يا
ابنتي.

أيام: إلى أين يا خال؟

لم يستطع الخال أن يتكلم، ولم تجد أيام
من إجابة من بين الجالسين حولها ممن
لحقن بها من أهل وصديقات، إلا أن
منون خانتها عاطفتها فتعالى نشيجها،
فذهلت وتساءلت: أخبروني ماذا حصل؟

صمت الخال، ثم استجمع قواه وحنكته،
فقال: أنتِ يا ابنتي عهدناكِ امرأة مؤمنة
صابرة محتسبة، فلا غرابة والأقدار أن
يسيرها الله، ولا اعتراض على مشيئته،
والمؤمن مأجور، وعوضه الجنة فيما
خسر وفقد؛ فأمني يا ابنتي، واحتسبي
وقدركِ عند الله عظيم.

بذعر وقلب يرتجف: من؟.. من تبقى لي
أحزن عليه ومصيبتي فيه عظيمة؟
هزّ الخال رأسه، ولم يقدر على الكلام.

نظرت أيام إلى منون نظرة عتاب
وحزن، وقالت ببكاء: من يا منون؟..
تكلمي.. تكلمي يا صديقتي وصفية
قلبي.. دور من اليوم؟.. عمي رحل
وتركني دون أن يودعني أو حتى
يخبرني أنه سوف يغادر، ترك لي
أوجاعًا وأحزانًا، وترك لي حياة ملبدة
بالظلمة والغيوم.. من يا منون؟ من
سعيد الحظ هذا الذي سيكون أول لحاق
بعمي؟.. أه يا ليته أنا من أموت.. يا رب
خذني إلى حيث يكون عمي.

وانفجرت باكياً، وتعالّت أصوات
الحاضرات بالبكاء.

خالها وهو يجفف دمه ويهم بالنهوض:
تجهزي يا ابنتي للسفر بعد قليل.. إن

زوجك عمل حادثًا أثناء رجوعه في
أقصى شرق البلاد.

وهنا لم يستطع النطق بالخبر، فصمت
وقرأت هي علامات سكوته وانكساره،
فارتجفت وهوت بها نفسها، وارتعدت
أوصالها، وارتعد حلقها وشفثاها: بم..
م.. ما.. مات..؟

إلا أن الخال وقف يداري دموعه بين
كفه الممدودة على وجهه، وانتظر ريثما
استوعبت الخبر، وذكرت الله، ثم قالتها:
وما الفائدة من سفري إذا وذهابي؟.. هل
سيراني؟

نظر إليها وقال: لا بد يا ابنتي أن تريه،
وتلقي نظرتك الأخيرة عليه، وحتى لا

يعيبك الناس على تخلفك، ويعبوننا
أيضاً.. هيا يا ابنتي..

ثم ينادي: منون، ليالي.. ساعداها في
تجهيز حالها، سوف أذهب لآتي
بالسيارة..

وأرادت أن تتكلم إلا أنه قال: لا تخافي يا
ابنتي.. أنا معك في سفرك هذا..

ليالي: وأبي يا خالي؟

الخال: فليدق برأسه في الجدار.. هاهو
مشغول بابنه المدلل الذي أتى له بجريمة
الله أعلم بنتيجتها..

وصل الجمع بعد قطع مسافة طويلة
وتعب وعناء إلى شرق البلاد، ولكنهم
علموا أن المصابين يرقدون في

مستشفى صلالة في عمان، فسوء
حالتهم نُقلوا إلى هناك، فعلمت الجماعة
أنه لا بد عليهم الانتظار قليلاً حتى يأتي
ضمينهم من مشايخ المنطقة؛ ليدخلوهم
أرض عُمان، وكان وقوفهم أمام
الاستعلامات، فلم تستطع أيام الوقوف،
بل ارتمت على أول مقعد أمامها وهي
منهكة متعبة، وانطبقت بوجهها على
كفيها على متكأ الكرسي، والأم سحبوها
وأسندوها قاعدة على مقعد، وابنتها
بجانبها، ووقف ابن عم راسل بجانبها.

اقترب الخال من القائم بالاستعلامات،
وكان يقف هناك رجل طويل القامة، ثم
قال الخال: أرجوكم نريد أن نعرف
مصير راسل عبد البر الموجود في

المستشفى إثر الحادث الذي حصل معه..
أهو حي أم مات كما وصلنا الخبر؟ فإن
كان كذلك فإننا نريد استلام الجثة.

وقبل أن يتكلم الاستعلامي نطق الواقف
الذي كان يسمع كلام الخال باهتمام فقال
-وكلامه عربي مكسر-: تريدون استلام
الجثة؟.. من أنتم؟ ماذا تقربون له؟

وهو يشير بيده للجالسة: هذه أمه،
وهذه التي بجانبها أخته، والواقف هناك
ابن عمه، وهذه الجالسة (وأشار إلى
أيام) زوجته وأنا خالها.

شدّ الدكتور ما سمع، واقترب نحوه:
تقصد زوجته أيام.

استغرب الحاضرون إلا أنهم سرعان ما
تلاشى ذلك فيهم لعلها صدفة أن عرف

اسمها عندهم وهم يتذكرون سير
الميت، ثم يقول: أنا هنا دكتور ورئيس
القسم هذا.

ثم يخاطب أيام: أرجوك أيتها الزوجة..
قومي هيا معي.

نظرت إليه أيام باستغراب، ثم نادى
زوجته التي كانت على مقربة من يمينه:
تعال يا أرنياس..

وناداهما مرة أخرى فأتت نحوه
والابتسامة تملؤها بوجهها الأجنبي
الأشقر، ثم نظر إلى أيام، وقال لها: لا
تخافي يا أيام.. أنا وأرنياس سنكون معك
لتريه.. هيا قومي.

نهضت أيام في تعب ظاهر، فهتف
الخال: إلى أين يا دكتور؟

الدكتور: انتظروا أنتم.. لا بد أن تراه
هي أولاً.

ونطق ابن عمه بالقول: وأمه؟

فقال الدكتور: لا.. أيام أولاً.

وهنا صدمتها الجملة الأخيرة، وعصفت
بداخلها، وهزت ثباتها، فأيقنت
بالمصيبة، وانسكبت الدموع من عينيها،
فتقدمت منها الدكتورة تجرها من يدها
برفق وإشفاق: تعالي معنا يا أيام.

وأثناء وقوفها عصفت بمخيلتها ذكراه،
وتراعت لها صورته وقامته، وهو يقف
لها ببسمة المشرقة، وأخذ شريط
الذكريات يعرض صورته عليها، وقطعت
طريقها الثقيلة المجهدة معهما وهي
تذكر مواقفهم، ثم سمع الدكتور نشيجها

فقال لها وهو يلتفت إليها: لا تخافي يا
أيام.. الآن سوف ترينه.. إنه ينتظركِ.

شددت الكلمة من أوجاعها، فكيف يكون
في انتظارها وقد رحل؟!!

لكن الدكتورة بادرتها: أيام.. إن زوجك
حي لم يميت، وإنما ينتظركِ، وأنتِ فقط
ستساعدينه على القيام من رقدته.

تداخلت فيها الفرحة وخوف المجهود أو
لعلهما يوهمانها بذلك، فوقفت هنيهة ثم
قالت: أخبراني أرجوكما بالحقيقة.

الدكتور: زوجك في حالة إغماء شديدة،
وأنتِ ستنقذينه؛ لأنه لا يهتف، ولا يهذي
إلا باسمك طوال ساعات العملية التي
أجريت له، وعرفنا بعد ذلك بقصته معك
من صديقه، واتضح لنا وحسب متابعة

حالته أنه يرفض الحياة برقدته هذه لأنك
ترفضينه.. تعالي لتتقديه من ميته هذه،
ولتحبي أمل الحياة فيه.

وصلوا الغرفة المخصصة له، ودخلت
هي خلفهما، فرأته حقيقة، فامتزج فيها
السرور والحزن معاً لحاله وهو راقد
مغيب عن الحياة، وقد غطته هالة من
شاش كثير على جسمه إلا قليلاً، ومن
ذلك وجهه الذي بان جزء منه، وبه
عرفته، فقال لها الدكتور وهو يقربها
إليه حتى وقفت إلى جانب رأسه: أيام..
كل شيء في حياته، لا شيء الآن إلا
أنتِ وصوتك؛ فهو من سيساعده على
التعافي ولو ببطء.

الدكتورة: يظهر أنه معلق بك كثيرًا، وقد عرفنا حبه الكبير لك، وأنه في عودته هذه إليك كان يحمل لك هدية كبيرة، وبالصفقة الأخيرة التي أنجزها دفع آخر ما عليه من مبلغ لإكمال قيمة الهدية ليقدّمها لك، وأنتِ انظري ماذا ستقدمين له عندما تتأديه؟.. هيا تكلمي علي مقربة منه، وأخبريه أنك أيام لتبعثي الحياة في جسمه المهودود وروحه المعلقة، هو نادى باسمك، وهتف به وهو في أصعب ظروفه، والآن هو محتاج لك، وهو أشد من ذي قبل.

لم تستطع أيام أن تتكلم لبيائها وتأثرها، والخجل عقد لسانها، فأحس الدكتور بذلك فقال: أرنياس.. تعالي نخرج.

فهتفت الدكتوراة وهي تسحب زوجها من
يده: نعم.. نعم هيا نخرج.

وعند اطمئنانها بخروجها وانغلاق باب
الغرفة عليهما رفعت لثامها، ثم اقتربت
بوجهها نحوه تتطلع في وجهه والدموع
تسكب من عينيها، ثم بكت ما شاء لها،
وقالت: وأنت أيضاً تريد أن ترحل؟

ثم علا نسيجها، وهتفت: لا تتركني
أرجوك.. أرجوك يكفيني فاجعتي في
عمي.

وأرادت نطق اسمه، ولكنّه ثقل عليها،
وأخذت تكرر بين شفثيها، ثم انهالت
عليها الأوجاع، وطغت على خاصرتها
طغيات الضمير في حقه ووصية عمها،
ثم همست باكية: يا للأوجاع، ويا

لرميات القدر في يوم فرحتي بإتمامي
اختباري الأخير مات عمي، وفي ضحى
النجاح الذي حلمت به، وتسامعت الدنيا
بإعلانه سقط زوجي.. أهي النهاية المرة
لموت حلمي أو موت من هم سندي
وقوتي؟.. رحلا عني ولم يودعاني.. يا
لغدر الزمان وخيانتة.

ولكنها تذكرت على الحال أنه ما زال فيه
روح، وأنه ينتظرها، فصحت على إثرها
صحوة ضمير، وأنها لا بد أن ترد
الجميل، وتساعده على الحياة، فنادت
وهتفت باندفاع متأثر: راسل أرجوك..
قم من رقدتك.. أنا أيام.. أيام التي ظلت
تباعذك وتقصيك، هاهي اليوم بجانبك

وقريبة منك تتاديك، وتتوسل إليك أن
تفيق.

زفرت وهي ما زالت على نشيجها: ها
أنا يا راسل عندك، وأطلب منك،
وأترجاك ألا تتركني.. أنا بحاجة إليك
لأطلب السماح منك، فلا تغضب عليّ..

وزاد ذكرها لعمها من أوجاعها: عمي
راح يا راسل، وتركني وحدي أسيرة
الأوجاع، وحبيسة التهتك المجنون.. أنا
وحدي يا راسل وقد انكسر ظهري،
وانحنت هامتي، وانهد عزمي.. عمي
كان لي كل شيء، بل كان حياتي، واليوم
حبلى الحياة انقطع.. أرجوك لا ترحل وإلا
خذني معك.. لمن تتركني؟ لمن لا يرحم
ولا يرأف، لمن يظن بنفسه وسطوته أنه

سيبقى من الخالدين؟.. أرجوك أفق، بالله
عليك أفق لا تمت أرجوك.

واشتدت بكأؤها، ويدها ممدودة على
أعلى السرير بمحاذاة شق وجهه.

ومرّ اليوم الثاني بأكمله ولم يفق، وكانت
قد دخلت عليه أمه، ورأته، وكبتت
صوتها كما طلب منها، ورمت أيام
بنظراتها الخبيثة الحاسدة تحملها ذنب
ما حصل له، ودخل عليها الدكتور
وزوجته، ووجداها جالسة على كرسي
تنتظر، فقال الدكتور لها: أريح نفسك
يا أختي، ولا تقلقي.

ثم اقترب من راسل، وأخذ يتلمسه،
ويتفحصه، ويفتح له عينيه، ويرفع

جفونه، ويحركها، ثم قال: هيا يا راسل..
أيام تنتظرك، لقد تيبس ظهرها من
الجلوس بجانبك.

ثم أخذ يهز هنا وهناك من جسمه حتى
تحركت هي، كأنها تعترض على ذلك،
فقال الدكتور مازحًا لها: تخافين عليه
من هزتي له؟ ولماذا لم تخافي عليه
قسوتك العنيفة معه؟!

ثم تدارك ما قاله مبادرًا: لا تغضبي
أرجوك لما قلته، فما قلته إلا لأذكرك
فقط، ولكن قولي الحمد لله؛ لأنك الآن
بجانبه، وهذا كفيلاً لكما بحياة جديدة،
وأن تخرجنا من هنا إلى بيتكما الجديد
الذي كتبه باسمك.

أيام: لا أريد منه شيئاً، وإنما أريده أن يتعافى.

ضحكت الدكتورة مازحة: تريدينه هو فقط، ولا تريدين غير ذلك.. أليس كذلك؟ ثم تقول وهي تنظر إليه: هيا قم يا راسل.. أيام ستنام بجانبك، وستغفو عن الحياة إن لم تفق، فضحك الدكتور.

وفي اليوم الثالث أصيبت أيام بالتعب والإرهاق لطول الانتظار بجسمها المنهك، وأرادت أن تنهض من مقعدها إلا أنها أصيبت بالدوار، ثم أغمي عليها، فطلب الخال إسعافها، فنقلت على الحال إلى الطوارئ، وتولت الدكتورة أرنياس علاجها، وأرادت أن تقيس لها ضغط

دمها، وأثناء الكشف عن ذراعها وهي
ترفع الثياب (العباءة) رأت علامات
سوداء داكنة وعلامات على أعلى كفها
أشبهه بالجروح، فتتبعت العلامات
المنتشرة على صدرها وأعلى ظهرها،
ثم طلبت الخال في عجل وقد كانت أيام
نائمة، فسألته عن ذلك، فبادرها الخال
هروباً من الجواب بسؤال غيره: كيف
ضغطها؟

فردت عليه بنفس السؤال تكرر،
فأجابها بالسؤال ذاته، فقالت الدكتورة:
إن لم تقل لي ما الذي على جسمها هذا
طلبت لكم الأمن.

زفر الخال الذي لم يجد بدءاً من الإجابة
فقال: إنها علامات ضرب.

- من ضربها؟

- أبوها.

- ولماذا؟

- عندما عرف بنجاحها في الثانوية، وقد
أُعلن اسمها بين المتفوقين.

استغربت الدكتورة، وصمتت، قليلاً ثم
انفجرت ضاحكة بسخرية وألم معاً:

يضربها يوم نجاحها؟!.. أهديته لها يوم
نجاحها أن يضربها بعنف ووحشية؟!..

أنتم عندما تضربون أولادكم عندما
ينجحون.. نحن نضرب أبناءنا عندما لا

ينجحون.. يا لهول المفارقة.

شعر الخال بالألم من قولها فبأدرها: لا
يا دكتورة.. هو فقط من يفعل ذلك.. يرى

في تعلم البنت جريمة، أما نحن فنرى -
كما أمرنا ديننا- تعليم الفتاة فريضة.
- أي نوع من البشر هو؟! وأي نوع هو
منكم؟!!

- لا نقول إلا إنا لله وإنا إليه راجعون.

- وتسكتون عنه؟

- وماذا نفعل؟

- تشكونه للجهات المختصة.

- بل لأجلها نسكت، ونغطي على أفعاله.

- وقانونكم وأمنكم ماذا يفعل؟! .. أين

العدل؟

- الأمن والقانون نسكته خوفاً من أي

قلقلة وربكة مخزية وزوبعة فاضحة.

- إذا جربتم واشتكيتم عليه.. وهل فعل

بها أكثر من هذا؟

- إيه.. وأكثر من هذا، في يوم نجاحها
في الإعدادية ظلت في المستوصف راقدة
يومين.. كانت شبه ميتة.

- وزوجها ماذا فعل؟

- تزوجها قبل سنتين فقط، إلا أنه
يساعدها، وعندما حصل هذا بها كان
غائبًا.

- يا للهراء، يا للسخرية، يا للمصيبة..
أنا لا بد أن أبلغ في أبيها ليصل الخبر
إلى الناس أجمع، ويعرفون حقيقته.
الخال: لا.. أرجوك.

- إنها الآن في مأمن منه.. إنها في ظل
زوجها، فلم القلق والخوف؟.. سوف
أبلغ هنا الجهات في وزارة الصحة، ثم
أرفع تقريرى هذا إلى وزارة التربية في

بلادكم، وأعلمها بما هو على جسمها،
وما تعرضت له من قبل.. إنه جرم في
حقها وحق كل فتاة تواجه جرمًا من هذا
النوع، وسأرفع الصوت من هنا،
الصوت الذي أنتم تكتمونه؛ فهذا واجب
إنساني كما هو عمل إنساني.. يا خال
أيام، الشخص الذي يصر على شيء،
ويؤمن به، ويأبى أن يتركه، أو حتى
ينساه، بل يرى حياته معلقة به فإنه وفي
طيات داخله يؤمن بذاك الشيء أنه
صلاحه، وأن خيرره فيه، وخير لمن
حوله، فذاك هو النور الذي سيحمله
للأجيال المتعاقبة، وسيكتب التاريخ
اسمه من نور، وقرآنكم يقول: (يريدون

ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره
ولو كره الكافرون).

- صدق الله العظيم..

- صدق الله وكذبت مزاعمكم أنكم
تمنعون هذا حفاظًا على الفتاة.

دخل الدكتور وزوجته على أيام
وزوجها، فوجداها لم تبرح مكانها
بجانبه على المقعد، وهو ما زال في
غيوبته، ابتسما لها مع التحية، ثم تقدم
الدكتور منه يتحسس، ويجس نبضه، ثم
قال مازحًا: ألا تريد أن تنهض يا
كسلان؟.. أيام تجمدت على كرسيها.

الدكتورة: بل أيام مريضة ترقد بجانبك،
وسريرها مقابل لسريرك، وحلفت ألا
تبرأ إلا عندما تفيق.

وضع الخال أمام أيام عدة أوراق قائلًا:
وقعي يا ابنتي.

ودون أن تنتظر إلى الأوراق سألت: على
ماذا أوقع؟

- إن راسل اشترى من صاحبه بيتًا
كبيرًا، ودفع فيه كثيرًا من المال، وقد
أوصى البائع أن يكتب عقد الشراء
باسمك.. أي أن راسل اشتراه لك وأنت
في الأوراق المشتري، ولهذا يجب أن
توقعي على الشراء، هيا يا ابنتي وقعي.
- لا يا خالي.

- يا ابنتي.. زوجك يخاف عليك لو قدر
الله بمكروه له فأهله سيخرجونك خالية
اليدين.

بعزة نفس ووفاء: لا أريد منه شيئاً،
ولن آخذ منه أي شيء، ولا أستحق
ذلك، ولن نسكن معاً في سقف واحد.

- يا ابنتي افهمي.. إنه معطيك ذلك برضا
من ذات نفسه، وهي هدية خالصة منه،
وإن شاء الله ستتحسن حالكما، وتعيشا
بعد ذلك في بيت واحد وتسعدا.. المهم
الآن أن تبرمي هذا العقد بسرعة لأجل
ألا يعرف أهله ذلك، وأيضاً الرجل
صاحب البيت في عجلة يريد أن يسافر.

- فليعرف أهله أو غيرهم؛ فلن آخذ حقاً
ليس لي الآن.

- يا ابنتي اسمعي الكلام.. اتركي ما في
رأسك المتيبس هذا ووقعي.

- لا.. لا، لن أوقع، ولا أريد شيئاً، وأنا
لست أهلاً لذلك الحق.

وفي المساء دخل الدكتور وزوجته،
ووقف أمام راسل يتفقده، إلا أنه هتف
بعد لحظات: أبشري يا أيام، بدأ جسمه
يستجيب ويتحرك.. هاهي أصابع يديه
بدأت تتحرك.

هبت أيام تتأكد، وبعدها تحركت
أساريرها فرحة بذلك، وانتظرا قليلاً، ثم
ودعها الدكتور، وخرج وخلفه زوجته.

عادت أيام إلى مقعدها وما هو إلا قليل
من الوقت حتى سمعت أناته، فهرعت
واقفة ترقبه حتى فتح عينيه بصعوبة،

ثم نظر إليها وهي تدنو نحوه، فتأكدت أنه أفاق، وهو ينظر إليها، ويتفحصها جيداً، فهرعت مسرعة إلى الدكتور تبحث عنه، فوجدته في طريقها، فأسرع الدكتور نحوها عندما سمعها تتأديه بلهفة، فأتى نحوها مسرعاً وخلفه زوجته. عادت أيام، ووقفت أمامه قائلة: حمداً لله على السلامة.

ودخل الدكتور وزوجته، ثم وقف الدكتور عليه وهو يجس نبضه قائلاً ببسمة: حمداً لله على سلامتكم يا بطل.

واقتربت الدكتورة نحوه بجانب أيام، ثم تقول ممازحة له: أيام لم تبرح مكانها تنتظرك، حتى أنها مرضت لطول الانتظار، فاتخذنا لها سريرًا بجانبك..

هيا أسرع في النهوض.. أيام التي
ظنناها أنها كل أهلك حتى أننا استغربنا
وفوجئنا أن لك أهلا غيرها.

وبعد مرور ثلاثة أيام، وبعد أن أفاق
راسل استفهم وسأل عن عقد البيع
والشراء، فأخبره الخال بما كان من
أيام، ثم سلمه الأوراق، وتركها أمامه
مستأذناً، ثم نادى أيام التي وصلت بعد
أن كانت خارج الغرفة في بعض شأنها،
فقال لأيام: تعالي.

فجلست بجانبه على السرير، فقال لها
وهو يدفع لها بالأوراق: أيام وقعي على
عقد الشراء.

وهي تهز رأسها: لا.. لن أوقع.

- أرجوكِ يا أيامِ وقعي.

- لا..

- ألا تريدنا أن نعيش في بيت واحد بعد
خروجنا من المستشفى؟

- نعم أريد، ولكن هل يكون ذلك مرهوناً
بالتوقيع؟

- أيام.. تفهمي الأمر جيداً.

- لا أسطو بفعلي هذا على ملك لا
أستحقه، وليس لي.

- بل تستحقينه، وتستحقين أكثر من
ذلك، وليتني أقدم لك أكثر من ذلك؛ أريد
أن أطمئن عليك.. كنت أخاف أن أموت
ولم أحقق لك شيئاً أو لا أراك بعدها.

نهرته ووضعت كفها في محاذاة فمه
قائلة بتأثر وصوت متهدج: أرجوك لا

تذكر الموت.. الموت باروت نسف كل
جميل في داخلي، وهزة أرعدت
أوصالي، وبيدت السعادة التي كنت
أعيشها.. إنه خطف مني أعز مخلوق
على نفسي.. أخذ عمي وسار به نحو
الفناء، ولم يعد لي أحد أتوكأ عليه،
وأشد به أزري.

ثم بكت، فتأثر هو، وتقطع قلبه عليها،
فشدها برفق من يديها إليه قائلاً: آسف
يا أيام.. آسف لأنني ذكرتِكِ.

لكنها اشتدت في البكاء، فنهض إليها
وهو يمسك يدها، فارتمت على صدره
وهي تواصل بكاءها المحموم.

الخال: لا تلمها يا بني.. إن أيام ضميرها
حي، وهي امرأة عرفت الحق جيداً،

وعملت به، فلو كل امرأة كانت مثلها،
وحذت حذوها لكانت حواء في عزة
نفس، وغنى عن الأطماع وسفاسف
الدنيا وفتاتها.. عيب أيام أنها عنيدة في
الحق المشروع لها والذي يستحق عليه
تصلبها.. أصرت بالأمس على الدراسة،
وناضت لذلك، وواصلت طريقها، وما
ردها عن ذلك قسوة أبيها وجبروته؛
لأنها تؤمن بحقها المشروع، وأكملت
دراستها، وأخذت الشهادة التي تريدها.
راسل: ولكن تبقى يا خالي لها الشهادة
الكبرى.

الخال: وهل بقي من شهادة تريدها؟

راسل: نعم.. ستواصل إلى أن تأخذ
الدكتوراه، وهذا شرطها، وأنا رضيت
به.. بل سأكون عونها ومعينها في ذلك.

نظر إليه الخال في تبسم وسعادة، وقال:
إن كان هذا فيه رضاك، وأذنت لها فما
العيب فيه؟.. الأهم تفاهمكما في هذا
الأمر، فأنت اليوم وبعد عمها كل شيء
لها، والحمد لله أن الحياة تبسّمت لها،
والأقدار بدأت ترسم لها خير ما تريده
وسعادة ما تتمناه.

عهد جديد

فرحت ليالي ومنون بما سمعته من
أخبار، ثم أسعدهما أكثر ما سمعته من
الخال، فانطلقتا في فرحة غامرة توزعان
الحلويات للصغار ومن دخل عليهما،
وأخذتا - وكالطفل الفرحان بالشيء
الجديد - تبشران بشفاء راسل والحياة
الجديدة له وبالعهد الجديد الذي انطلقا
عليه، وفي رحابه حياة زوجية جديدة.

وبعد أيام وصلت أيام وزوجها إلى
مدينتهما، واتجهتا إلى حيث يكون
منزلهما الجديد، ورسن بهما السيارة
أمام البيت الذي يبدو أشبه بالقصر
المصغر فوق تبة صغيرة وسط المدينة.

بيتٌ بني من الأحجار الحمراء الداكنة
الشبيهة بحجارة الياقوت الأحمر،
وواجهات البيت الثلاث بها نوافذ كبيرة
واسعة مصنوعة من الزجاج العاكس
اللامع، والوجهة الخلفية تطل على
حديقة واسعة غناءة.

نزلاً من السيارة فإذا بها ترى مكتوباً
على لافتتها الصغيرة: ياقوتة الأيام،
فوقفت تتأملها، فقالت في عتاب: ولماذا
كتبت اسمي عليه؟ ألا يكفي على الورق؟
إنك بهذا تجود بأكثر من اللازم وبما لا
أستحقه.

**

اشتركا معاً في فرش وأثاث البيت وديكوراته
واختيار الألوان المناسبة لكل ركن وأثاث.

وبعد يومين زارتهما ليالي برفقة منون،
وأثيا عليها في سعادة غامرة بها،
وبتصالحها مع زوجها، وفرحت أيام
بزيارتها أشد فرحة حتى أنها منعتها
الرجوع إلى القرية إلا بعد المكوث
عندها عدة أيام.

وفي اليوم الثاني زارتها ناهد التي
عاتبتها قائلة: ألا تخبريني من يومها
أنك في المدينة؟ .. أم لا أسمع إلا
متأخرة.. يا لشهامتك، أو أنك لا
تريدني أن أزورك؟
أيام: زحمة مشاغل.. اعذريني.

وتوالت زيارة الصديقات لها، وعاتبها
على عدم إخبارهن بوصولها، ومنهن
معتزة وربى وأحلى أسامي.

ومرت ثلاثة أيام، فقامت أيام بزيارة
عمتها نرجس في القرية برفقة راسل،
وتباكيًا معًا ما شاء لهما، وجلست كل
واحدة تبث للأخرى شكواها فيما لاقته
بعد الفاجعة.

وقبل أن تفرقا سلمتها نرجس الأمانة
التي عندها وهي هدايا راسل ومبالغه
التي كان يرسلها لها عبرها.

وصلت أيام المدينة، وفي المساء زارتها
الدكتورة شمس التي قبلتها بحرارة
قبلات أم حنون وأخت محبّة ومرّيّة

فاضلة، ثم قالت لها وهي تجلس: الحمد لله حمداً كثيراً على هذه النعمة.. كنت أظن ألا تعود الحياة بكما زوجين.. بل كنت أستبعد ذلك لرفضك وإصرارك على ذلك، ولكن أقدار الله هي من تسير وتوجه الشخص.

أما أيام فاكتفت بالتبسم لها في إجلال وتوقير، ثم قالت الدكتورة وهي ترمي بناظرها في أركان البيت: البيت كبير وواسع.

ثم تحوّل في مزاح: يجبك كثيراً.. حتى البيت جعله سميتك.. ياله من وفي وأصيل، كنت أظن من قبل أن ناهد هي من ستسعد بزواجها بالتفاهم الذي بينها

وبين زوجها، لكن صار العكس.. إلا أن
ناهد قدرت على التخلص منه.

- هل انفصلت؟.. إنها لم تخبرني عند
زيارتها لي.

- متى زارتك؟

- قبل أيام..

- ولم تعلمي -أيضاً- بالخبر الثاني
والسيئ؟

- ماذا جرى؟

- إن معارضها الثلاثة احترقت كاملة،
وخسارتها تقدر بملايين.. مسكينة

ولأجل أن تنهض من جديد تحتاج إلى
أربعة ملايين أو أكثر.

- يا الله.. وكيف هي الآن؟

- هي الحمد لله، إلا أن المبلغ كبير جداً،
ويصعب عليها أن تأتي به وتوفره.

لم تحتمل أيام ما وقع بناهد دون أن تمد
لها يد العون، بل أسرعت في زيارتها،
فوضعت أمامها الأمانة التي سلمتها لها
نرجس قائلة: خذي يا ناهد.

- ما هذا؟

- إنه مبلغ من المال وأسويرتين ذهب،
وأضيفي على ذلك العقد الذي هو عندك،
فخذيهم لأجل الإسراع في البدء من جديد
في عمل معارضك.

- ولكنه كثير..

- أولاً أسرع في تدارك الأمر لأجل
مباشرة عملك، ثم احسبي كما تريد.

- وزوجك إذا عرف؟

- إنه يعرف بذلك، وقد أخبرته حتى أنه قال سوف يساعذك في إعادة تشغيل عملك إذا أردت ذلك.

- لا أجد لك والله من كلمة شكر أقولها..
أنت يا أيام مثال للنبل والشهامة.. كريمة وأصيلة، والله يقدرني على رد دينك.

- أرجوك يا ناهد.. لا تجعلي بيننا أي فرق أو تقصيني منك.. تعتبريني مجرد صديقة؟.. أنت لي أخت عزيزة قبل أن تكوني صديقة حبيبة.

ومرت سنتان، وأنجبت أيام وليدها، وقالت لزوجها -وهي في المستشفى بعد ولادتها عندما سألتها: ماذا ستسمينه؟:-

سأسميه فائق، على اسم عمي فائق
رحمه الله تعالى.

نسمات الأدب
عبد الله بن

عند كلمته

وكما وعدّها أن يكون بجانبها وسندًا لها
في رحلة الدراسة لأجل الشهادة الكبرى
التي تريدها، ها هو ينتظر عودتها من
الجامعة، وفائق ذو الستة أشهر في يديه
وهو عاجز كيف يسكته وهو يصرخ
ويبكي، فأخذ يجول به في أركان البيت،
حتى دخلت عليه وهو على هذه الحالة،
فأسرعت بالقول: ها أنا قد رجعت.

وتنادي راسل وهي تتجه نحوه، ثم تضع
كتبها وأثقالها التي تلبسها من غطاء
رأس ولثام، ثم تأخذه منه وتقول: لم
ينم؟ أم أفاق الآن؟

- بل نام قليلًا، ثم أفاق.

- يظهر أنه يريد أن يرضع.

فأخذته إلى الغرفة وهي تقبله وتحاول
إسكاته، ثم طرحته على السرير لكي
ترضعه، أما راسل فتوجه لأجل تجهيز
نفسه للذهاب إلى عمله.

وبعد انتهائها من إرضاعه، وبعد أن نام
انسحبت من بين يديه، وتوجهت إلى
زوجها قائلة: انتظر لأعد لك طعام
الغداء، أتريد الذهاب دون أكل؟

- سوف أكل أي شيء في الشركة.

- اعدرني.. لقد أتعبتك معي في أمر
الدراسة.

- لا تعتذري أرجوك؛ فهذا وعد قطعتَه
على نفسي أن أكون بجانبك حتى تأخذي
الشهادة التي حلمت بها.

بامتتان وشكر وهي تقترب منه ثم تقف
أمامه تضع يديها حول عنقه بالقول: الله
يقدرني يا رفيق دربي على الوفاء لك،
ورد جميلك.. إنك عظيم يا راسل.

وهو ينظر إليها في محبة شديدة: وأنتِ
أعظم يا روح الروح.. هيا سوف أذهب،
سأجد العمل متراكماً على المكتب
ينتظرني.

- والسكرتيرة عندك ماذا تعمل؟

- عملها محدود فقط.

ثم تقول له مازحة وهي تغمز له:
عملها محدود..

ثم يقول لها في تعشق فيها: وإن تكن
معي سكرتيرة أو غير ذلك فأنتِ
سكرتيرة قلبي.

وهو يأخذ يديها إليه ثم يمسك بكفها
ويقبلها، وقبل أن يقول شيئاً قطع ذلك
رنين جرس الباب، ابتسم ثم قال: سوف
أنظر من في الباب.

وبعد لحظات كانت ناهد هي من ظلت
عليهما، فانزاح قليلاً عن الباب، فدخلت،
وذهب هو، واستقبلتها أيام بحرارة قُبَل
وتحية، وتشير لها بالجلوس قائلة:
تفضلي.

جلست ناهد، ووضعت أمامها حقيبتها
ومجموعة أوراق، ثم قالت أيام: والله
بنت حلال.. أتيت في وقتك، انتظري
لأعمل لقمة غداء ونأكل سوياً.

- الحمد لله.. أنا تغديت، وما أتيت إلا
لأخبرك أنني جعلتك شريكة لي في
الشركة التي أنوي تأسيسها.
- أي شركة هذه؟.. ليس لي في هذا
الكلام.

- لا يا أيام.. هذا حقك، ولا تنسي أنه
لولا الله ثم مالك الذي أعطيتني إياه لكان
كل ما أملك في خبر كان، فالذي عملته
معي والذي قدرت به على إنقاذ ما قدرت
على إنقاذه لا يقدر بثمن.

- أنا ما أعطيتك لأكون في يوم لك
شريكة، ولكن..

قاطعتها بالقول: لا يا أيام.. ما أعطيتك
إلا الذي تستحقينه؛ فوقفك بجانبني هي
من ساعدتني على المعافاة أولاً وإنقاذ

ما تبقى والوقوف من جديد.. هذا حقك..

هيا وقعي وهذه العقود جاهزة.

- ولكن يا ناهد هذا كثير..

- لا.. ليس بكثير عليك.. هيا الوقت

يجري وورائي أعمال كثيرة، أرجوك

وقعي.

ترددت أيام بالقول: ناهد إنك..

قاطعتها: أرجوك.. ألا تريد أن تكوني

معي في الخسارة، أم تخافين الخسارة؟..

إذا وقع بنا مكروه فالحمل سيكون خفيفاً

ونحن نتقاسمه.. هيا يا أيام أسرع،

ودعي الكسل.

ومرت السنوات وأتى اليوم الذي تنتظره

أيام بفارغ الصبر، وهاهي تدخل كي

تصحي راسل من نومه وهي مسرورة،
والحياة تتراقص بين عينيها في هذا
الصباح؛ فهو أعظم يوم لها؛ لأنه يوم
حفل النقاش لرسالتها، وحفل التخرج
أيضاً.

رفعت الغطاء عنه إلا أنه كان متشبثاً به،
ثم وهو مغمض العينين قال لها: اتركيني
أنام.

أيام: كيف تمام؟.. أنسيت ما يعني لي
هذا اليوم؟

راسل: ماذا إذا؟.. اتركيني.

تألّمت لِمَا سمعت، واستدارت ذاهبة،
واندفعت موجة غضب في داخلها،
واحمر وجهها، فرجعت إليه قائلة وهي

تريد نزع الغطاء بقوة: حسناً.. سأتركك
تتأم.

وتمكنت من رفع الغطاء عنه، ففوجئت
بما صنع؛ فتوهجت قسّمات وجهها،
وتهاللت أساريرها؛ فقد لبس، وتجهز،
وإنما كان يمازحها، فتبسمت فرحة به،
ولم تجد كلامًا تعبر به عما في نفسها،
فنهض متكئًا ينظر إليها بإشراقه في
وجهها قائلاً: وهل أنسى؟! وهل صدقتِ
أنني أنسى هذا اليوم؟!.. إنه أعظم يوم
وأجمله إلى نفسك، فكيف لي نسيانه؟!
جلست بجانبه والسعادة به تملؤها قائلة:
وهذه ثقتي فيك يا حبيبي.

الدكتورة أيام

انضم عميد الجامعة وأحد أعضاء اللجنة المشرفة على رسالة الدكتوراه بكلمته في نهاية النقاش وحفل التخرج، فقال: إننا لنرفع الرؤوس عالية فخراً واعتزازاً بهذه التي لم يمنعها مانع من موانع أمسها وصعوبات ماضيها، بل تحدث الصعاب، واجتازت التحديات، لم تأت الجامعة من دراسة منتظمة هادئة مطمئنة آمنة، بل في دراستها الأولى كانت فارة، وتعليمها مطارد، وتعرضت لكثير من محن وبلايا واضطهاد، بل وأسعفت إلى المستشفى؛ فكانت أحياناً ترقد لهول ما تعرضت له من ضرب وتعنيف، حتى أن سجلها المدرسي حافل

بذلك، ومرفق به التقارير التي تؤكد ذلك، وتشهد بما جرى لها، وتعرضت له، وقد وثقت ذلك دكتورة روسية في أحد كتبها، وهي تتحدث عن أغرب ما رأت وشهدت في البلاد التي عملت بها، فتقول: أعجب وأغرب ما رأيت، وشدني أيضًا، وأدهشني فتاة تُمنع من التعلم، ونحن في عصر الصعود إلى القمر تُضرب، وتُقيد، وتُوضع في حبس انفرادي، ويُمنع عنها الطعام والشراب لا لشيء أو لجناية إلا لأنها نجحت، وكان اسمها بين الأوائل العشرة في بلادها، أشد ما أعجبني فيها -وقد تعرفت عليها في أحد مستشفيات عُمان- قوة إرادة الفتاة التي كانت مصرة على الوصول

لحلمها بأن تكون دكتورة حقوقية تدافع
عن حق المرأة والرجل معًا، والكلام ما
زال للدكتورة الروسية: رأيت أيام التي
ما أسعدتها أيامها، ولكنها أرادت أن
تُسعد أيامها.. ويرفع الكتاب الذي في
يده للحضور قائلًا: وهذا الكتاب يشهد
بما أقوله، وقد ترجم إلى عدة لغات، ثم
يرفع جريدة للحضور قائلًا: وهذه الجريد
فيها هذه الدكتورة وهي ترسل برسالة
مفتوحة إلى وزارة التربية والتعليم في
بلادنا آنذاك تشكو إليها، وتعاتبها في
حق هذه الفتاة وحق غيرها، وتقول في
معرض عتابها: إن لم تأخذوا لها بحقها
فالتاريخ هو من سينصفها، وقد رأيت
بأم عيني أثر الضرب والقيد عليها، وها

هي بالله وبارادتها وقوة يقينها جعلت ما
تريده واقعًا، وأنصفها التاريخ بدخولها
أبوابه الواسعة، بل سطر اسمها متلأئًا،
بالأمس كانت فريدة الوجدع والألم،
وفريدة النوع من الصبر على الأذى
إيمانًا في حقها ويقينًا في إرادتها حتى
أغمي عليها في بعض الأحيان لهول
الأذى.. إنها اليوم فريدة النجاح وفريدة
الإرادة والصبر والمرابطة على ما تريده
وفريدة التصميم، واستطاعت بعون من
الله أولًا ونضالها ورباطة جأشها ثانيًا أن
تصنع مجدها بتصميمها.. وبعد قراءة
الكتاب تواصلت مع الدكتورة الروسية،
وأخبرتها أنني متبِّين لها ومشرف على
رسالتها، فردت عليّ ثِق أنها ستمتاز في

رسالتها، وسيعلو شأنها ليس لأنها
مصرة فقط على النجاح، ولكنها تعودت
أن تستمد قوتها من مصاعبها التي
لقيتها في حياتها.

ثم قالت أيام في كلمتها: إنني أشكركم
جميعًا رؤساء وأعضاء، وإنني لممتة
للعميد، وأرفع شكري الخاص له،
وأشكر كل من ساندني وأعانني ودفعتني
قُدُمًا، وأخص بالذكر وليته كان بيننا
اليوم عمي فائق الذي أهديه نجاحي، إنه
ليس عمي ولكنه كان أبي الأول، والذي
أمدني بالثقة، وأثار دربي عزمًا وتوكلاً
على الله الذي وفقني، ومنحني قوة
الإرادة، وأهدي عملي -أيضًا- لعمتي
نرجس، أُمي في رحلة دراستي الأولى..

وأهدي نجاحي هذا -أيضًا- وعملي كله
لتاج رأسي الذي أمدني بالقوة والإسناد
زوجي ووالد ابني ورفيق دربي، إنه أبو
فائق، ولكل من أعانني في رحلتي،
وخاطر معي في سبيل نصرتي وتعلمي
منذ الأمية إلى الثانوية أختي أم زهو
وأخي عزم وبنت خالي أم أسعد وخالي
وعمتي وكل أهلي.

ووصلت أيام إلى القرية بدعوة من
منون وأختها وبعض من أهلها للاحتفال
بها في بيت أبيها، وقد دعوا فيها الأهل
والأحباب والصديقات، وصنعت لها
منون بمعاونة مفصلة في القرية ثوب
وقبعة التخرج والنجاح كعادة الجامعات

في ذلك اليوم، وبعد أن أنهوا توزيع
المأكولات والحلويات ومشروبات
المناسبة، طُلب منها أن تقف، وتلقي
عليهن كلمة للمناسبة هذه، وبعد قليل
من الوقت في إقناعها في ذلك وهن
مُلحَّاتٍ عليها، نهضت وقالت: أشكرن
جميعًا، وأخص بشكري أختي ومنون
بنت خالي صديقتي الحبيبة والوفية.

وهنا سمع صوت يقول: وصلت العمّة
نرجس..

فنهضت ليالي ومنون، وتقدمت أيام نحو
الباب، فإذا هي تدخل عليهن وهي
مبتسمة فرحة بها وتقول: أتيت يا أيام
لأشارككِ فرحة النجاح.

ثم مدت يديها نحوها إلا أن أيام
احتضنتها، فحركت هذه المناسبة الحزن
الراقد تحت وطأة النسيان المؤقت،
فانفجرتا شوقاً له، وتمنتا لو كان
بينهما، فنهضت ليالي تفصل بينهما، ثم
أجلست نرجس على مقعد، وأجلست
منون أيام، وانتظرن حتى خفت وطأة
البكاء والحزن، فطلب من أيام أن
تواصل، فوقفت أمام الحشد الجالس
المستمع لها، وقالت وهي تجفف
رموشها من الدموع: أشكر كل من بذل
معي وأعانني ولو بكلمة في رحلتي التي
قضيتها، وأخص بالذكر عمي الراحل فله
كل شكري، وأهدي إلى روحه العظيمة
كل نجاحي وإنجازي.

وامتلأت عيناها بالدموع من جديد،
وبكت نرجس، فاقتربت منها ليالي
تمسح على كتفها وتقول: ترحمي عليه
يا عمة.

وبعد أن هدأن من البكاء واصلت أيام:
وأشكر أختي أم زهو التي لم تتوان عن
نصرتي وجبر كسري ومدني بالسند
والعون، وبنت خالي وحببتي وصديقة
طفولتي منون وأخي عزم وخالي
وعمتي.. هؤلاء كانوا نعم العون
والمؤازرة، ونعم النصير في رحلتي
الأولى، وأشكر زوجي ورفيق دربي
ووالد ابني أبا فائق، وأهديه نجاحي.

وهنا التفتت أيام نحو ابنها الذي يناديها
ويسحبها من يدها، وأثناء ذلك وقعت

عيناها في عيني أبيها الذي وقف ينظر إليها، وظلت تنظر في عينيه نظرة ذات مغزى، إلا أن ابنها تركها، وذهب يجري نحو جده وهو يقول: يا جدي.. يا جدي، تعال انظر، وأمسك بكفه يريد أن يسحبه وهو يقول: تعال معي لتبارك لأمي.. أمي صارت دكتورة.. تعال معي، كل الناس تقول لها الدكتورة أيام.

وتجمدت الكلمات، وظلت هي وأبيها ينظران كل في الآخر وكأنهما في حوار صامت إلا أن أباهما لم يستطع النظر في عينيها كثيرًا؛ فانسحب وهو يجر خلفه تساؤلات، منها: لماذا يا أبي..؟!!

ما فوق .. الإرادة

سيفقى نرجمان الحرية مفهوما نعي البتتر حقيقته
ملكا قبل أن يكون حقا
والإرادة لن نكون حكرا ..
نبدأ عزمنا وننهي جبرا ..
ناريخ يخطه رجل أو نحفر حروف مجده امرأة.
... حياني...



نسمات الأدب
تاسمات الادب

رويدا رمضان